

392.5:H343A

عن - اسعد لطفي

الزواج في الاسلام والزواج النبوي محمد

392.5

H343A

~~NO 11'57~~

~~1972~~

JAFET LIB.

~~21 SEP 1972~~

~~1 FEB 1978~~

~~19 OCT 1972~~

J. Lib.

1972

~~17 JUN 1985~~

~~JAFET LIB.~~

~~5 JAN 1988~~

~~1 FEB 1983~~

JAFET LIB.

~~JAFET LIB.~~

~~12 FEB 1990~~

5 MAR 1990

انظر صفحة العنوان بعد الفهرس

فهرس — رس

كتاب الزواج في الاسلام وأزواج النبي عليه الصلاة والسلام

Missing PP. 11-12

[Signature]

• MAR 30

- (ا) افتتاحية الكتاب — كلمة الأستاذ الاكبر صاحب الفضيلة الشيخ
محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر
- (ب) كلمة صاحب السعادة الأستاذ الكبير محمود بسيونى رئيس
مجلس الشيوخ
- (ج) كلمة الكاتب القدير والعالم الكبير صاحب العزة محمد بك فريد وحدى
مدير مجلة الأزهر
- (د) كلمة الأستاذ المحترم والعالم الكبير صاحب الفضيلة الشيخ محمد
عبد اللطيف دراز مفتش المعاهد الدينية وعضو مجلس النواب الموقر
- ٣ إهداء الكتاب إلى روح خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد
عليه الصلاة والسلام
- ٤ خطاب من المؤلف لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ
محمود شلتوت وكيل كلية الشريعة الاسلامية
- ٦ رد حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمود شلتوت على المؤلف
- ١١ مقدمة الكتاب
- ٢٠ الزواج
- ٣٠ آراء وتحاليل لحالة الفتاة
- ٥١ غلاء المهور والتبذير فى نفقات الزواج
- ٥٥ تعدد الزوجات
- ٦٤ الطلاق

- ٧٤ واجبات الأم المسلمة نحو مولودها
- ٨٧ زواج الرسول الأئمين وأزواجه أمهات المؤمنين
- ٨٨ موقف النبي صلى الله عليه وسلم من أعدائه ومفترياتهم عليه
- ٩١ موقف النبي بين قومه وأسباب زواجه
- ٩٧ سيرة زواج السيدة «سودة بنت زمعة رضوان الله عليها»
- ٩٩ سيرة زواج السيدة «عائشة رضوان الله عليها»
- ١٠٠ سيرة زواج السيدة «حفصة رضوان الله عليها»
- ١٠٣ سيرة زواج السيدة «زينب بنت جحش رضوان الله عليها»
- ١٠٨ سيرة زواج السيدة «زينب بنت خزيمة رضوان الله عليها»
- ١٠٩ سيرة زواج السيدة «هند بنت أبي أمية الشهيرة بأمة سلمة رضوان الله عليها»
- ١١١ سيرة زواج السيدة «أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضوان الله عليها»
- ١١٤ سيرة زواج السيدة «ميمونة بنت الحرث الهلالية رضوان الله عليها»
- ١١٥ سيرة زواج السيدة «جويرية بنت الحرث رضوان الله عليها»
- ١١٦ سيرة زواج السيدة «صفية بنت حيي»
- ١٢١ تفسير الآيات القرآنية وغريب المعاني الواردة في الكتاب
- ١٤٤ الخاتمة

كله _____ ة

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ (محمد مصطفى المراغى)
شيخ الجامع الأزهر الشريف وشيخ الاسلام

قال حفظه الله وأبقاه :

طالعت بعض صفحات فى مواضع مختلفة من كتاب « الزواج فى الاسلام » لواءه الأستاذ أسعد لطفى حسن فأعجبني أسلوبه ومنحاه والأستاذ أسعد لطفى قوى الايمان بالدين الاسلامى ومبادئه . كلف بالكشف عن أغراضه القويمه وأسراره ، وهو يستحق جزيل الحمد وعظيم الشاء ، وأسأل الله له توفيقاً متصلاً وجزاء من الله صالحاً

٢١ إبريل سنة ١٩٣٨ محمد مصطفى المراغى
شيخ الجامع الأزهر

كلمة

حضرة صاحب السعادة الاستاذ الكبير محمود بسيوني رئيس مجلس الشيوخ

صديق العزيز الاستاذ أسعد لطفي حسن

تحية طيبة مباركة وبعد : فاني أشكر لاهدائي مؤلفك على « الزواج في الاسلام » وأزواج النبي عليه الصلاة والسلام وهو مؤلف جليل القدر عظيم الفائدة وقد رأيت مؤلفات كثيرة خاض أصحابها في مسائل الزواج وتبسطوا في شواربها فلم أجد منها ما يماثل مؤلفكم في الشرح والابانة مع سهولة في التعبير وعناية بالمعنى .

ولاشك أن قوة ايمانكم وصفاء قريحتكم واشتغالكم بأمور الدين وحسن تجاربكم كانت السبب المباشر للمباحث الطريفة التي جمعت شتات المسائل الاجتماعية وآراء الباحثين في العلاقات الزوجية فقد أضاء عليها شعاع من نور الله الذي أفاضه على قلبك وقلوب أمثالك من المؤمنين لكي يهتدى الناس بهديهم ويمشوا على نورهم .

وما أحسن دفاعكم عن حكمة تعدد الزوجات في الاسلام والجمع بين أكثر من أربعة للنبي الكريم وعن حكمة الطلاق عندنا وهو دفاع واضح الحجة ناصع المحجة يسلم به المنصفون ولا يجحده إلا المكابرون . ومع ذلك فإن الزمان كفيل بالتقريب بين الاسلام والمسيحية في الأحكام فإن الطلاق

مشروع عندنا ومبينة أحكامه ومسوغاته ويصفه صاحب الشريعة المطهرة بأنه «أبغض الحلال عند الله» .

وهو غير جائز عند المسيحيين الا في حالة واحدة وهى حالة الزنا على ما أذكر ولسكنا نراهم من نصف قرن يقتربون من الاسلام فى التوسع فى أسباب التفرقة بين الزوجين بحيث أصبح الفارق ضعيفا جدا بين أهل الديانتين وينحصر فى أن سبب الطلاق المشروع عن المسلمين يقدره الزوج ويحاسبه الله عليه وعند المسيحيين يقدره القاضى وأمثلة ذلك كثيرة فى قضايا التفريق التى وصلنا خبرها .

فقد قضى فى نيويورك بالتفريق بين رجل وامرأته لأنه يتعاطى الدخان وهى تكرهه وطلبت اليه الامتناع عنه مراراً ولم يمتنع .

وقد أثبت بالحجج الدامغة أن زواج النبی بأكثر من أربعة لم يكن لشهوة أو لذة ولكن للتشريع كما حصل مع زينب بنت جحش ومع عائشة بنت أبى بكر . واما تكريما لأمهات المؤمنين لحسن بلائهن فى الاسلام واشترا كهن فى الحروب مع أزواجهن وذويهن وفقدان بعولتهن ووجوب المحافظة عليهن من كيد الكائدين لهن إذا تركهن النبی واما لفك أسارهن وعتق رقبتهن مع اسرى الحروب التى شنت غارتها على النبی فكان من ذلك الأثر الطيب فى الاسلام ودخول كثير من العرب فى الدين أفواجا أفواجا فاعتز بهم جانبه وأصبحت كلمة الله هى العليا وكلمة غيره هى السفلى .

وكم قدرت مجهودك فى البحث حتى تمكنت من جمع ما يتعلق بنساء النبی واحدة واحدة فى مؤلف واحد وتاريخهن وحوادث زواجه بهن ولعلك

تواصل مجهودك حتى تعرف ذلك الصحابي الذي كان متزوجا بالسيدة ميمونة
بنت الحارث الهلالية خالة سيف الله اقطاع خالد بن الوليد فلا يكون للقارىء
أمنية حتى حقة تموها .

وانى أسأل الله أن يوفقكم لخدمة أمتكم والأخذ بناصر دينكم وان يمنحكم
القبول فتفوزون برضوانه بقدر ما تقومون من العمل الصالح ؟

٢٧ ابريل سنة ١٩٣٨ محمود بسيوني

رئيس مجلس الشيوخ

كلمة

الكاتب القدير صاحب العزة محمد بك فريد وجدى مدير مجلة الأزهر

قال حفظه الله :

لحضرة الأستاذ المفضل أسعد لطفى حسن جولات فى الشؤون الإسلامية -
دفعته إليها ما كمن فى فؤاده من الحب له ، والغيرة عليه ، وأنها جولات -
صادقة تثبت قلوب الآخذين به ، وتبدد أوهام الواهمين فيه .
فقى كتابه « الإسلام » الذى نشره منذ خمس سنين بيان شاف لماهية -
هذا الدين الحنيف ، وتدليل قوى على سلامة أصوله من العلل ، وابتناء مبادئه -
على الحقائق المقررة ، وحملات صادقة على المنحرفين الذى يتجنون عليه بما -
هو منه براء ، ويلصقون به مثالب ليست منه فى شىء ، تضليلا للناس عن الحق .
وصرفا لهم عن صراطه السوى « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى -
الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون »
فكان كتابه ذلك حربا عليهم ، وسلاما للمؤمنين .

وقد طالعنا اليوم بكتاب له جديد أسماه « الزواج فى الإسلام » بين فيه -
ماهية الزواج من حيث هو ، ومذهب الإسلام فيه . فلم يدع شيئا يتصل -
بالزوج والزوجة فى البيت ، وبالرجل والمرأة فى المجتمع ، وما يتعلق بكل -
منهما من حقوق وواجبات إلا أتى به فى قالب من البيان بديع ، ثم جاء يبحث -
فى تعدد الزوجات وأتى على ما يبرره خلقيا ، واقتصاديا واجتماعيا ، وأردفه -

بمسألة الطلاق مبيناً كل ما يتصل بها ، واستطرد إلى سرد واجبات الأم
نحو أولادها .

وختم الكتاب بفصل ممتع في زواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتى
بأسماء زوجاته واحدة فواحدة ، مبيناً أسباب زواجه بكل منهن ، وهنا كرر
بحجج ناهضة على أن تعديده صلى الله عليه وسلم للزوجات لم يكن اندفاعاً منه
وراء شهوة ، ولكن لحكم اجتماعية ظاهرة لمن يتأمل في ظروف كل منهن ،
وقد بين هذه الظروف بتفصيل شاف .

فلا يسعنا نحن أزاء هذه الجهود المتواصلة من الأستاذ أسعد لطفى
حسن إلا أن ننوه بفضلته ونشيد بذكره ، وندعو الله أن يمدد بروح من عنده
«ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين» .

٢١ إبريل سنة ١٩٣٨ محمد فريد وجدى

مدير مجلة الأزهر

كلمة

حضرة صاحب الفضيلة العالم العامل الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مفتش
المعاهد الدينية بالأزهر وعضو مجلس النواب المحترم
عزيزى الاستاذ أسعد لطفى حسن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - : وبعد فقد عرفتك منذ عهد تمكنت
خلاله من دراسة أخلاقك ، وتحليل خلالك فوجدت أنك رجل دين وخلق
وكان ما يلاحظ عليك فى محادثتك من التدليل بالآيات القرآنية ، والأحاديث
النبوية ، مما يقوى عندى ذلك الاعتقاد . الى أن أطلعت على مؤلفك
«الاسلام» وراجعته ، فتبين لى بحق أنك (أقرب من رجال الدين) إذ جمعت
فيه بحوثك القيمة . وسهلت بأرائك المستقيمة ، سبل اطلاع الطالب ،
واضطلاع المدرس . ومكنت من تفهم الدين الحنيف بسلاسة وسهولة . وما
كانت نفسك تقنع بهذا الأثر الطيب ، والعمل الصالح ، حتى نشرت رسالة
«أبى الربيع محمد بن الليث» وهى أبلغ ما كان من الدعاية للإسلام . وهدم
أعمال المبشرين . فأبلغت الرسالة للعالم أجمع . وأدبت واجبك لدينك . إذ
رددت كيد الخائنين فى نحورهم . وأوقفت مضار المبشرين عند حدهم فلك
الجزء الأول فى من الله .

وهأنت الآن تواصل جهودك وجهادك . فطالعت الناس بكتابك القيم
«الزواج فى الاسلام» . وأزواج النبى محمد عليه الصلاة والسلام» وفى الحق
أنه لبحث متشعب الأطراف ولكنك تمكنت من جمع شتاته . وأفضت مع
الدقة وحسن العبارة ومثانة التعبير . فى وضعه موضع التقدير . إذ أجذك

استسلمت لصفاء نفسك . وسأيرت رقيق شعورك وحسك فنظرت الى
الانسانية المعذبة من أهلها . نظرة العارف بأدوائها . المستطيع وصف علاجها
ودوائها . وقد ملكت قوة التأثير . ومقدرة التعجيل باستعمال الدواء .
واستئصال الداء .

ثم حاربت الرذيلة . وعملت في قهرها بسلاح بتار . أغمدته في صدور
الفجار الأشرار . وكشفت مستور العصاة الآثمين . إذ اندفعت في شجاعة
وثبات لتحليل أعمال ، العهر والخنا والمخادنة ودعوت بالحسنى الى التوبة
والانابة . والرجوع الى الله . والعمل بما أمر والابتعاد عما نهاه . وغرضك
الذي ترمى اليه . رفع قدر الانسانية . ومكانة البشرية الى ما خلقها الله له .

وقد عرجت على الزواج والسعادة الزوجية ، وأظهرتهما في دائرة الاعتماد
على الله . والاعتداد بالنفس . في عبارة شيقة طلية ، فكنت كالطبيب الماهر
يؤكد لقاصده ضمان الشفاء . حتى يبعد عنه الوهم القاتل . ويقرر له الشفاء
العاجل . ليقبل على الحياة آمنا مطمئنا . وفي أسلوب معقول . وبيان مقبول .
أوضحت ما حدده الدين الخفيف . في الزواج . وتعدد الزوجات والطلاق . .
فكشفت عن نبل قصده . وسمو حكمته . ورغبته الشريفة . في كثرة النسل
وتعمير الكون . وقد توخيت الاقناع بالدليل القاطع ، والحجة الواضحة . في
عبارات سهلة يفهمها العامة . ويتذوقها الخاصة . وتبطل أضاليل الأفاكين .

ومن توفيق الله لك ، هذا النداء الذي نشر على الناس خاصا بالمهور . فربما
كان مطويا فأبلغته للعمل به ، وهو ذخيرة قيمة ، ونصيحة ثمينة جاءت في
وقتها . اما اراؤك وتخاليك فهي صرورة من صفاء نفسك . واخلاصك لبي

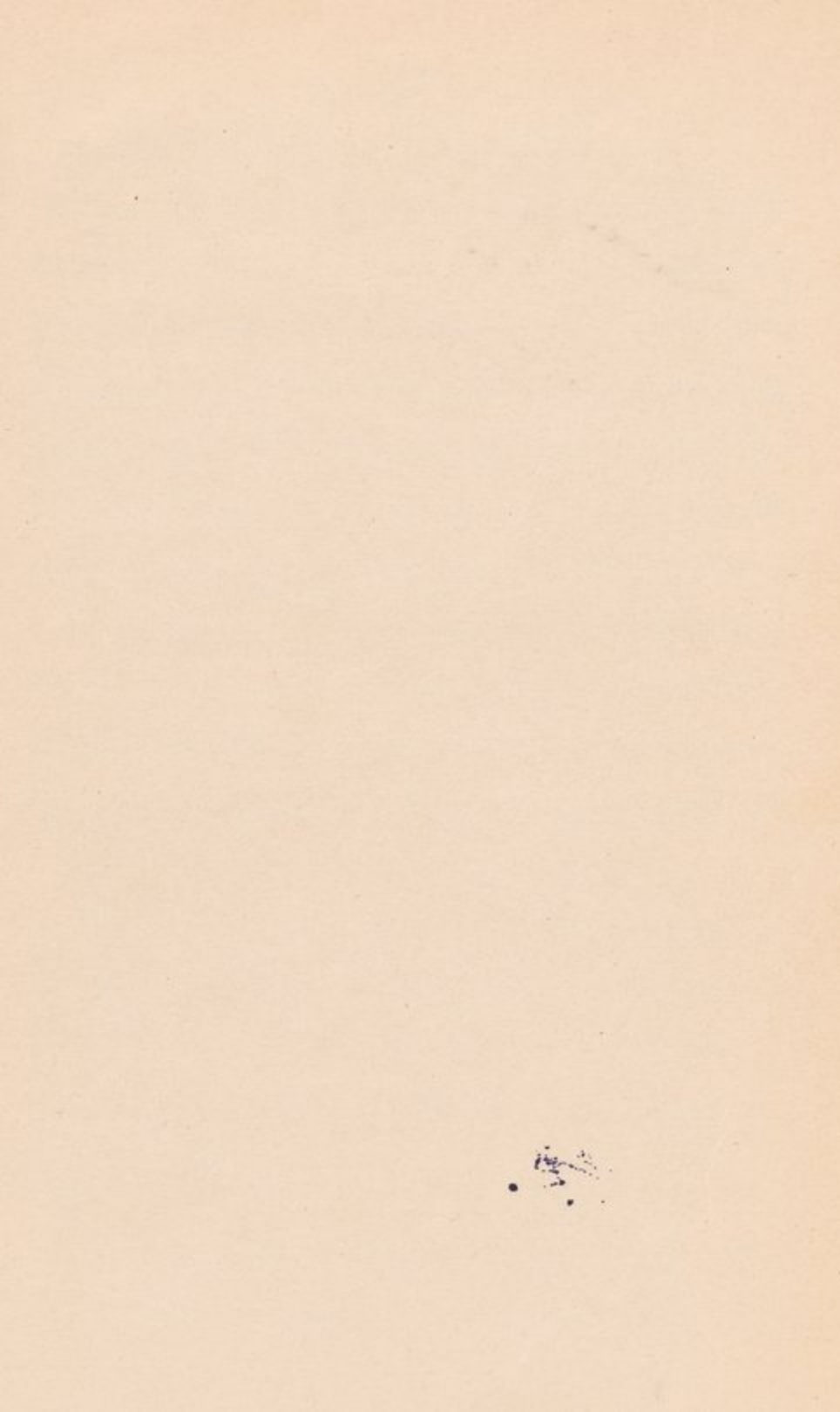
جنسك . فيها ما يدل على انك لا ترى في هذا العالم نجاح أى أمر . الا باتباع أوامر الاسلام . وقد كنت واسع التفكير ، مع الحسنة والخبرة .
وسيجد قراء كتابك مما أوضحت وأملأه عليك إيمانك . وحسن يقينك
فى واجبات الأم المسلمة ، ودستور حياتها مع أولادها . بما أسديته اليها من
النصائح الحكيمة ، ومارسته لها من الخطط المدعمة بالرأى السديد . لحفظ
كيان الأسرة . وحماية الأبناء . انك لم تترك شاردة ولا واردة فى نواحي
التفكير لاصلاح الجماعة إلا أتيت بها ، بروح للخير وثابة ، ونفس آمنة مطمئنة .
أما موقفك الذى وقفت امام موضوع زواج الرسول صلوات الله
وسلامه عليه وفى أزواجه رضوان الله عليهن . وما أوضحت من سمو قصده
ونبل غايته . وشريف تصرفاته . وما كان من تضحية النفس ، ونكران الذات
بإطاعة المطلقة لمن بعثه رسولا . ومبشر أو نذيراً . فقد سهلت للباحث ، وأقنعت
المناقش وأخمدت المجادل . وعملت على نصرة الحق على الباطل وظهرت غايتك
التي تبغى . وهى الدعوة الى الاسلام . فأخلصت نيتك . وقويت عزيمتك وكان
جزاؤك من الله القبول والتوفيق .

فسلام عليك فى العاملين . وسلام عليك فى الوعاظ والمرشدين . وسلام
عليك فىمن آمنوا بيوم الدين . أكثر الله من أمثالك . ومنحك الرضا والقبول
لأعمالك واستجاب دعوتك وقوى عزيمتك . فى ظل ركن الاسلام المسكين .
وإمام المتقين ، وقدوة العاملين المليك التقى الصالح المحبوب «فاروق الأول» . أعز
الله به الاسلام وأيده بروح من عنده ؟ أخوك

محمد عبد اللطيف دراز

القاهرة فى ٨ صفر سنة ١٣٥٧

مفتش المعاهد الدينية وعضو مجلس النواب



الزَّوْجُ فِي الْإِسْلَامِ

وَأَزْوَاجُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

تأليف

أَسْعَدُ لُطْفِي حَسَنَ

كِتَابُ تَارِيخِي دِينِي اجْتِمَاعِي

ثَمَنُ النُّسخَةِ عَشْرَةُ قُرُوشٍ صَاعٍ

الطبعة الأولى

كل نسخة غير محتومة بتوقيع المؤلف تعتبر مسروقة

بمصر

المطبعة البهية المصرية

١٣٥٧ هجرية - ١٩٣٨ ميلادية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

إلى خاتمة الأنبياء والمرسلين
سيدنا ومولانا

٣٣
محمد

عليه الصلاة والسلام

إلى روحك الطاهرة العظيمة . ونفسك العالية الكريمة . وقد حباك
الله واجتباك . وقربك منه واصطفاك . وخاطبك في كتابه القديم
« وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » فعَلَيْكَ الصَّلَاةُ والتَّسْلِيمُ . وأسألك الله لي
وللناس الهداية بهديك . والعمل بما أُرسلت به . وما أوضحته في سُنتك
وبينته في شريعتك . وأدعوه جلّت قدرته . وعظم شأنه . أن يتولّى
بِعَظِيمِ قُدْرَتِهِ إِصْلَاحَ حَالِ الْمُسْلِمِينَ . وهدايتهم إلى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
لإعادة مجدهم وعوده عزهم . لأنال معهم شفاعتك يوم لا ينفع مالٌ ولا
بنونُ إلا مَنْ أتى الله بقلب سليم

صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك في النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحشرنى معكم أجمعين . آمين

العبد الضعيف
أسعد لطفى حسن

خطاب من المؤلف إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ

محمود شلتوت

وكيل كلية الشريعة الاسلامية

حضرة صاحب الفضيلة والفضل الأستاذ الشيخ محمود شلتوت

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد فقد دفعتنى غيرتكم الدينية ،
ونعرتكم الاسلامية ، أن أرسو بسفينة مادتي ، وما تحمل من جهود في سبيل نصرة
دين الله ، والدعوة إليه ، على شاطئ ساحتكم ، وفيها الوصول إلى بر الأمان ،
وفيها الحصول على الهداية والاطمئنان ، ولعل أجد منكم عناية بأمر تلك
السفينة ، بفحص وتمحيص ما بها . حتى إذا مانالت موافقتكم ، وحازت على
رضاكم ، وافقتم على السماح لتلك المادة بالانتشار بين الناس ، لتؤدي رسالتي
في الدين إليهم ، وخدمتي للاسلام بينهم ، وقد وجهتها لله خالصة ، وأسأله
جلت قدرته قبولها ويهديهم للقبال عليها !

وإني يا صاحب الفضيلة ، وقد غمرتني بفضلك ، ومنحت رسالتي
بالكثير من ثمين وقتك ، وعنيت بمراجعتها ، وأصلحت ما كان من خطأ ،
وقويت ما صادف من ضعف ، فحفظت قدرها بهمتك ، ورفعت شأنها
بعنايتك فجعلتني مديناً لك بهذا الأثر النافع ، ومثلي ولا أملك إلا قلباً
عامراً بالايمان ، وروحاً مخلصاً للرحمن ، فأدعوه لك بالخير ، وأسأله

أن يسبغ عليك نعمة الصحة والعافية ، حتى تقوى على الاستمرار في
خدمة الاسلام ، وأن يبعث الله من أندادك أمة تعمل عملك ، وتنحو
نحوك ، وتقفو أثرك ، فيجدد عهد العلماء الأتقياء المخلصين ، في عصر
الفاروق الزاهر ، فخر المؤمنين ، وإمام العاملين ، أطال الله عمره ، وسدد
في الخير خطواته وفي خدمة الاسلام عزماته ، بجاه خاتم الأنبياء والمرسلين ،

سيدنا محمد عليه الصلاة والتسليم ؟

المخلص

أسعد لطفى حسن

رد حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ

محمود شلتوت

وكيل كلية الشريعة الإسلامية

صديق الأستاذ الجليل أسعد لطفي حسن

السلام عليك وعلى أمثالك الغيورين على دين الله ، المجاهدين في سبيله ،
الذائدين عن تشريعه وأحكامه .

« وبعد » فقد قرأت كتابك الذي جليت فيه أسرار الشريعة الإسلامية
في الزواج وما يتعلق به من القوانين الإسلامية في بناء الأسرة ، ولم يكن هذا
الكتاب بأول أثر من آثار الجهود القيمة التي أعرفها لك في خدمة الاسلام
والعمل على نشره ، وتصويره تصويراً صحيحاً نقياً بريئاً مما اتصل به من
أفكار وآراء دبت إليه في عصور مظلمة ، وفي حين غفلة الرقيب فخالطته ،
وامتزجت به ، وصارت في أنظار الكثير من أهله — فضلاً عن غيرهم —
محسوبة عليه ، منسوبة إليه ظلماً وبهتاناً .

فقد قرأت لك من قبل هذا كتاب « الاسلام » فألفيته كتاباً عظيم القدر
جليل النفع محققاً للغاية التي لأجلها وضع ؛ عرضت فيه لأصول الاسلام
وعقائده المتعلقة بالله وملائكته وكتبه وأنبياؤه ، وعرضت فيه لأمهات
الأخلاق الفاضلة التي قررها الاسلام ودعا إليها وحذر من تركها ، وربط
سعادة الأمم بها ، وعرضت فيه للعبادات الأربع ، التي طلبها الله من عباده
بعد الايمان ، تنمية لعقيدتهم ، وتزكية لنفوسهم ، وتهذيباً لأرواحهم

وترقيقاً لعواطفهم نحو الانسانية التي جاء الدين لاسعادها ، وعرضت فيه بعد هذا كله لشرح الآثار السيئة التي تلحق الدين ، ويتلظى في نارها المسلمون إذا هم تركوا عوامل الابتداع وسمومه القتالة تتحكم في الدين وأحكام الدين عرضت قبل هذا في كتابك «الاسلام» بعبارة سهلة قوية فصيحة ممتعة ، معتمداً في جميع بحوثك على آى الذكر الحكيم التي تقرر العقائد ، وتلفت الأنظار وتنبه العقول إلى أسرار الكون الناطقة بوحدانية الخالق وقده ، والتي تقرر العبادات ، وتشير إلى ما تغرسه في نفس المؤمن من خلق كريم وعاطفة سامية ، فجاء كتاباً فريداً في بابه ، فذاً في وضعه ، ينتفع به حقاً الطالب والمتعلم ، ويفيد الفقيه والمتفقه ، وهو فوق هذا مثال حسن لمن يريد أن ينتفع بالقرآن ككتاب تشريع وهداية وبيان .

وكثيراً ما تمنيت أن لو أتيح للمشتغلين بدراسة القرآن الكريم أن يجمعوا الآيات الواردة في كل موضوع على حدة ، وأن يدرسوها دراسة مستقلة عما يتصل بها في الوضع القرآنى ، ولقد ألفت في كتابك «الاسلام» مبدأ لتحقيق هذه الأمنية التي أعتقد أنها من الوسائل القوية القريبة لا تتفاد الناس كافة بالقرآن وهدية ، وأرجو أن يوفق الله أمثالك المخلصين للبناء على هذا الأساس الذي وضعته في كتابك «الاسلام» وبذلك يسهل الاسلام في عرضه وتعلمه ، كما سهل في أحكامه ومبادئه



أما كتابك الجديد الذي آثرته بالاطلاع عليه ، ولما تشع شمس على هذا الوجود ، فهو كتاب محكم في وضعه قوى في منطقته ، وجهت فيه أحكام

الشريعة الإسلامية بقواعد الاجتماع الصالحة ، واختبارات الواقع الذى لا يجد العقل المستقيم بداً من النزول عليه والقضاء به .

بحثت فيه العوامل الطبيعية ، التى تقضى بظاهرة الزواج بين بنى الانسان ، وكشفت عن الأضرار الخلقية والاجتماعية ، المادية والادبية التى تصيب الأمة فى كيانها ، وفى مستقبل أبنائها ، من جراء المخادنة التى تفشت كالمرض الوبى فى جمهرة الأمة وأوساطها . بحثت فيه طبيعة الرجل ، وأنه يعمل وقواه القدرة والجهود ، وطبيعة المرأة وأنها تعمل وقواها الاحساس والشعور ، وأنهما مع هذا يعملان معاً لنشر علم الفضيلة على ربوع الوطن ولكن المرأة تعمل وهى تحمل مع اسمها اسم أبيها أو زوجها ، أو النسبة إلى أسرتها . اختبارات صادقة ووحى حق تلقيته من صفاء نفسك ، وكان بحثاً ممتعاً ، يفهم الناس به أحكام الشريعة الإسلامية ، والسر فى توزيعها جهود الحياة وثمارها على الرجل والمرأة فلم يفتح الاسلام للرجل باب الطغيان على المرأة ، ولم يعرض المرأة للبهانة والتسخير تحت سلطان الرجل ، ولم يجعلها كما يزعم أعداؤه من سقط المتاع ، بل وضع كلا منهما فى الوضع الذى تقضى به الطبيعة .

على هذا الأسلوب من البحث القوى بحث الاستاذ لطفى شئون الحياة الزوجية ومسألة تعدد الزوجات التى جهل القوم حكمتها الطبيعية ، واتخذوها سلاحاً يرمون به الاسلام وشرع الاسلام ، وبين بهذا الأسلوب نفسه الحكمة الموضعية السامية التى أباح الله بها لنبىه صلوات الله عليه أن يتزوج بأكثر مما أباحه لغيره من المسلمين . فتحطمت على صخرة هذا البيان هذه الاسلحة المفولة التى يوجهها الجاهلون الى الاسلام ونبي الاسلام ، كما بحث مسألة الطلاق وبين

أنه علاج لا بد منه لصفاء الحياة الزوجية ، وسعادة الأسر التي لا تستغنى الأم عنها
في سعادتها العامة ، وكما لها الإنسانى

وإني أعتقد أن هذه الذخائر النفيسة التي ينشرها على الناس الاستاذ
أسعد لطفى من حين إلى آخر فى الاسلام ومزاياه فاتحة عهد جديد يبشر
بتضافر القوى العاملة ، والجهود المخلصة ، على إبراز الاسلام فى حلتها الحسنة
التي صاغه الله بها ، ونسج على منوالها سلفنا الصالح فى تبليغه والارشاد اليه .
وسيقف خصوم الاسلام أمام هذا البيان ، وإزاء هذا التضافر حيارى مبهوتين ،
مكتوفى الأيدى ، معقودى اللسان ، يلتمسون ميدانا للعمل ، أو مجالا للقول
فتضيق بهم السبل ، ويضل عنهم إفكهم القديم ، وتصبح كلمة الحق وعقيدة الحق
ذات السلطان النافذة على العقول ، وهكذا وعد الله ولن يخلف الله وعده «فأما
الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض»

أما أنت يا صديق أسعد فحسبك من صديقك الذى يقدر لك إخلاصك ،
ويعرف نواياك ، أن أضرع إلى الله القوى القدير ، أن يديم عليك إمداده بروح
العطف والمحبة ، حتى تصل إلى أقصى ما تسمو اليه نفسك المهذبة ، فى خدمة
دينك ، وطاعة مولاك ، وإرشاد أمتك ، وأن يمنحك من عنده حسن القبول
والرضا ، حتى يعم النفع بآثارك وجهودك والسلام عليك ورحمة الله

المخلص

محمود شلتوت

وكيل كلية الشريعة الاسلامية

١٩ ذى الحجة سنة ١٣٥٦ هجرية

ولم يدركوا دقائق تشريعہ ، ولا حکمة مشرعہ ، ثم حاربوه فی أدق شیء أحکمہ ، وأسس بنيانہ ، وأحسن قوامہ ، وأفصح بیانہ ، وقوى أساسہ ، وأقامہ علی دعائم الحق الناطق ، ووضعہ فی الطريق القويم . (فاتخذ كثير منهم مسائل تعدد الزوجات ، والطلاق ، سلاحا يحاربونه به ، وتغالوا فی اتہامہ بما هو براء منه ، والاسلام فی جميع نظمہ قد رفع مستوى المرأة ، وحفظ لها حقوقها كاملة غير منقوصة ، وصان لها کرامة الزوجة ، ومكانة الأم ، ومركز العامل الثاني علی عمران السكون .)

لہذا رأيت أن أبين للناس ما يہدی الضال إلی الصراط السوي المستقیم ، ويرشد الباحث إلی الرأي الحق السديد الحکيم ، إحقاقا للحق ، وإزهاقا للباطل ، لا أرجو إلا المثوبة من الله ، والعمل بما یکسبني عفوه ورضاه ﴿ إِن أَرِيدُ إِلَّا الْأِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

أريد الدعوة للحق ، وأدعو إلی الاسلام ، بكل سهل ومعقول ، لأنه دين الفطرة ، ليس فی نصوصه وأوامره خفي أو معمى ، يدرك فضله كل من حارب هوى نفسه ، ويعلم حقيقة أمره ، كل من يدرس أمره ونهيہ ، فيجد أنه دين الفضيلة ، ولم ينه دين عن الفضيلة قبلہ . دين التقوى ، ولم يأمر دين آخر بالرغبة عنها . (دين العفة والشرف ، دين العزة والشمم . فكل من يرغب عنه فقد رغب عن كل ذلك) ، وأساس الفضيلة هو الابتعاد عن الدنایا والنقائص ، وشر النقائص وآخرها هو اعتداء الانسان علی بني جنسه ، واستباحة المنکر والبغی بين أهله ، ومخالفة النواميس والأوامر المشروعة

١) والرجل والمرأة ، وهما قوام الحياة الانسانية ، فهما كعاملى الكهرباء - السالب والموجب ، لانفع لأحدهما ، ولا أثر له ، إلا باتصاله بالآخر ، ولا فائدة لكليهما إلا بذلك الاتصال . الذى إذا تم حسب أصوله وقواعده : أثمر وظهر ضوءه منيراً ، أو قوته فعالة تستخدم فى إدارة ما يراد منها ، فينتفع الناس من هذه النتائج الحسنة . (

أما إذا فسد اتصال الرجل بالمرأة فتكون النتيجة كالكهرباء أيضاً لا ينتج الاتصال الغير فى ما يرجى من ضوء أو قوة ، وتسوء العاقبة ، ويمتد ضررها إلى كل قريب منها فيفسده ؛ وتكون شراً ووبالاً عليه .

وهكذا كانت مشيئة الله ، وأثبت الماضى كله ، وأكدت التجارب أن كل شئ أسس على التقوى دام ورسخته عماده ، وكل ما أسس على غيرها دال وانهارت أسسه ، وهذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

٢) والرجل والمرأة وقد ثبت أنهما قوام العمران ، والحياة الانسانية فوصلهما ببعضهما واجب ومفروض ، وقد شرع الله جلّت قدرته هذا الوصل منذ الخليقة ، وجاءت جميع الشرائع والأديان بالقواعد والدساتير المنظمة لذلك ، وحرصت كلها على حفظ البشرية بتناسل الانسان والا كثار من الخلائق ، غير أن خطراً داهماً يهدد كيان العالم ، وينذر بخرابه ، وهو إعراض الشباب عن الزواج ، والرغبة فى العزوبة ؛ وهذا مما سيؤدى حتماً إلى انقراض الانسان ومحو وجوده ، وفى ذلك فناء العالم ، وقد وضع الشباب لذلك من المعاذير الكاذبة ، والأوهام والخيالات الواهية ، على غير

أساس أو دليل ، ولم يتدبروا عواقب تصرفهم هذا وما سيكون من ورائها من أخطار ومضار .

لم يقف الأمر عندهذا الحد ، فالإنسان يحارب نفسه وأبناء جنسه في كثير من النواحي ، ويتغافل عن اندفاعه وتهوره ، وما سيجلبه لأبناء الإنسانية ، وما سيجره عليهم من الويلات . فهو منذ أوجده الله جاد في محاربة أخيه يواصل ليله بنهاره في ابتكار عدة القتال ووسائل الحروب ، لا يكل عن اختراع المهلكات والمدمرات ، ولا يقنع بما تفعله من نكبات ومصائب ، ويفخر بخلق المخترعات الجهنمية للأجهزة على فصيلته ، والتعجيل بانقراضها ، ويتلذذ بسماع ما تحصده من الأرواح ، وما تقوم به من إزهاق الأنفس .

وعجيب جداً . أن يقابل الناس هؤلاء المخترعين بالاعجاب والتكريم ، ولم ينظروا إلى ما كان منهم ، ولكن هذه سنة الخلق «الحق في جانب القوة» فيكرمونهم ، ويشيدون بذكراهم ، ويحتفلون بذكراهم ، ويقدمونهم ، فيتنافسون في شئون لايجاد ما هو أشد وأنكى للدمار وإهلاك الإنسان .

لقد بلغ الأمر أقصى الخطورة ، وأصبح الإنسان محارباً في مأكله ومشربه ، وفي مأواه ومسكنه ، وفي الهواء الذي يتنسمه ، وصار مهدداً أينما يكون في البر والبحر والسماء ، وفي كل حركة وسكون ، وامتد التهديد إلى الأموات في قبورهم ، إذ سوف تبعر عظامهم ، وتخرب مراقدهم ، مما سيلقى عليهم من قنابل ودمرات

هذه حقائق لا يمكن إنكارها ، والانسان لا يقف عند حد اختراع لهذه المدمرات . من رصاص مسموم «دمدم» وغازات خانقة وسامة ، والديناميت والميلينت ، والمدافع البعيدة المرمى ، والدبابات ، والطائرات ، والغواصات والمدمرات ، والطرادات ، وما سوى ذلك مما يكاد لا يحصره العدد . وكله يفتك بالانسان فتكا ذريعاً ، ويهدد الآمنين ، ويرمل النساء ويقيم الأطفال ويحرم الوالدين فلذات أكبادهم ، فضلاً عن خراب الممالك ، وتدمير البلاد وإفناء القبائل والعشائر والأمم .

الانسان بلغ من الجبروت والطغيان أن ينسى أخاه الانسان ، فيعمل كل ذلك لاهلاكه

والطامة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، أن طعمة الحروب ، ووقود نيرانها هم زهرة شباب الأمم المتحاربة اذنه إذا أذن مؤذن الحرب ، ونادى باعلانها تجمع صفوة الأقوياء ، ونخبة الأصحاء ، من الفتيان الأشداء ، ويقذف بهم في ميادين القتال ، ويدفع بهم إلى الموت حتى ولو كانت الحرب ثمرة مشادة بين أفراد قلائل لم يملكو كبح جماح شهواتهم وهم من فريقين يتقاتلان ردحا من الزمن ، ويقضيان طوال الأيام في التدمير والتخريب ، ثم يعودان والنصر يدفع بصاحبه إلى التهور ، والخذلان يخلق في نفس من أصيب به الاستكانة مع الاصرار على الأخذ بالثأر ؛ وهكذا تفنى الأمم ، وتضمحل الانسانية . ثم تكون النتيجة أن من أدى رسالته من المقاتلين ، ونجا من الموت ، وأمات كثير آمن محاربيه من أبناء جنسه من البشر ، فقد نال الشرف وتحلى بأوسمة الفخار . ومتى وضعت الحرب أوزارها ، وقد أدمت قلوب

البشرية بضحاياها ، ومشوھيها وأيتامها وأراملها ، وقد قضت على زهرة الشباب ، وأفنت رجال المستقبل ، وخلفت الأرامل وقد فقدن عائلتهن .
فترتب على ذلك اضطراب حياتهن ، وما يعقب ذلك من التطورات في أخلاقهن ، كذلك الحال في الأبناء من فتيان وفتيات ، وآباء وأمّهات ، وقد حرموا المعين والنصير ، وأصبحوا والفاقة والفقر والجوع يعرضهم إلى أشد الأخطار ، وأضر المواقف ، وما يكون من وراء ذلك من المفاسد والشرور فضلاً عما يصيب المشوھين من آلام مبرحة ، وأسقام تلازمهم إلى القبر ، وتحرمهم لذائذ الحياة ، وتورثهم أمراضاً قد تكون ذات حالات موبوءة تنشر عدواها بين الأصحاء

هذا قليل جداً من نتائج الحروب وآثارها من الخراب والدمار .
والإنسان وهو العاقل المثقف الحكيم لا يظن لها ، ولا يخلو بنفسه الجموحة ليوقفها عند حدها ، ويبقى أخاه شريداً لها ، ولكن شهوة الشهرة ، ونعرة الفخار تلهيانه عن أن يشوب إلى رشده ، مادام يتأكد أنه سيكل رأسه بتيجان الفخار وتعقد له أكاليل الغار ، ويحفظ له التاريخ في طيات الحوادث ذكراً عاطراً يتكرر بحمده والثناء عليه ، ويسجل له موقفاً محموداً بين أصحاب الأعمال النافعة المفيدة ، وعلى رأس قائمة المبتكرين المخترعين

زاد على ذلك محاربة الإنسان لأخيه في القوت والمعيشة ، فهو يجد ويجتهد في اختراع الآلات التي تغني عن استخدام الأيدي البشرية للإنسان لإشفاقاً عليه ، ولأرحمة به ، بل كفاية عنه ، وزهداً فيه ، وحباً في الاقتصاد ورغبة في جمع المال وتكديسه . فقد أوجد للزراعة ، والصناعة ،

والنجارة ، وجميع مرافق الحياة : ما سبب الاستغناء عن تلك الأيدي ؛
وأكثر العاطلين ، وهى أسباب الفقر والفاقة والجوع للعاملين ، ومن وراءهم
من يعولون من آباء شيوخ ، وأمهات كبار ، وأزواج وأولاد

هنا أرجو معذرة إذ أخشى أن أرمى بعداوة الابتكار والاختراع وأنا
أندب حظ الانسان وأشد أن يهتم بأمره ، ويشرك عند التفكير فيما ذكرت
بعض من النظر فى عواقب ما سيؤول إليه الأمر ؛ وهو قوام هذا العالم
وأساس عمرانه . وقد وجد بين الجماعات من يرحم الحيوان ، ويشفق عليه
ويرفق به . بل قد بلغ الأمر بالسراقة والغنىء أن يقتنوا الكثير منه ويعنوا
بأمره ، ويوصوا به خيراً بعد موته ، ورصدوا له الأموال للانفاق عليه

وعلى الضد فقد تغالى الانسان فى انكار أخيه ، والسعى إلى تحقيره وإذلاله
إذ أعمل جهده فى التفكير ، وتعمق فى التدبير ، وبلغ به السعى إلى سلوك
مسلك وحشى دنىء ، وهدها شيطان تفكيره إلى اختراع المخدرات ، وهى
أشد فتكا من الحروب والأمراض . وصار يتفنن فى أنواعها ، وتجديد
أشكالها ، مما يفسد الناس فى دينهم ودنياهم ، ويذهب العقول ، ويعدم
النفوس . وما يرفع قدر الحيوان عن الانسان . بل يكون الحيوان أعلا
مرتبة منه ، لأن الحيوان يسير سيرته الطبيعية محافظاً على كيان نفسه ،
والانسان يتدهور فى حمأة الفساد والضلال ، فيصبح كالجماد لا يعى ما يفعل ،
ولا يدرك ما يقول . ولا يقدر عاقبة تصرفاته ، وغاية أمره ، ولا يتدبر
الهاوية التى يعدها لنفسه ، ويحفرها بيده

يتفنن الانسان فى أنواع المخدرات ، ولو كان لها بعض النفع أو قليله

لهان الأمر ، ولكنها الهلاك المحتوم ، والفناء العاجل ، تدفع بمتعاطيها المسكين إلى الضعف والفتور والذبول ، والذلة والمسكنة ، وتبدل الجميل الخلق بالوحشى ، والحسن الخلقة بالذميم ، والطيب المعاشرة بالذميم

فكيف بالمخترع يتلذذ بأعداد هذه الهاوية لأخيه الانسان الذى يتأكد أنه بمجرد الوصول إلى مخترعه يتسلم بيده حكم الاعدام عليه . وليت هذه النتائج تؤدى إلى الاعدام السريع ، بل يعانى متعاطى المخدرات : آلاما مبرحة فى جسمه ، وأمراضاً مزمنة تقض من مضجعه ، وتهدم فى كيانه حتى تلفظه الانسانية ، ويتبرأ منه أقرب الناس إليه ، ويصبح مرذولاً بمقوتاً شريداً طريداً . كل ذلك يدركه مخترع المخدرات ، ولكن قسا قلبه ، وأعماه جشعه وطمعه ، فيتناسى كل ما يصيب به أخاه ، فويل للانسان من أخيه الانسان ، وويل من المال الذى يعمى القلوب والبصائر

هذه الكوارث كلها هى عوامل الفناء والخراب والدمار ، وليست خاصة بأمة دون غيرها . بل هى عالمية ، اندلع لهيها فى أرجاء العالم . ومس شررها جميع الأمم ، وعم ضررها معظم المخلوقات . وأصبحت الحال أخرج ما يكون . والانسان فى أشد الحاجة إلى الاهتمام بأمره والنظر فى عاقبة مصيره

فاذا استمر الحال على هذا المنوال ، انقرض الانسان وعفى أثره . والامم والدول والممالك لا قيمة لها إلا بوفرة عدد أهلها ، وقد ضاعفت الرغبة عن الزواج الضرر ، وقربت الخطر ، والميل إلى العزوبة هو مبعث الخطر الداهم ، والضرر الدائم ، فأنجع العلاجات . وأنفع الاجراءات ، فى الدعوة إلى الزواج واهتمام الحكومات والزعماء والقادة لوضع القوانين وتحديد العقوبات

الصارمة والغرامات القاسية لمنع العزوبة ، ولا استمرار الانسان في الطريق القويم التي كانت سبب عمران الكون

الزَّوْاجُ

(الزواج هو الوثاق الذي يربط قلبي المرأة والرجل ، ويجمع بينهما برباط المحبة والآفة ، ويوحد بين روحيهما بما تعجز الافهام عن تحديده وتكييفه ، ويسمح لهما باتصال جسديهما ، واختلاطهما اختلاطاً تقف الاقلام عن وصفه وتعريفه . فهو روحى نفسانى جسمانى يجمع العوامل لفهمه وإدراكه . لان الانسان إذا رجع إلى خلقته وتكوينه ، وآمن بما عرف من تصرفات الله العزيز القدير في خلقته وفطرته ، وتحقيق أن خالقه أوجد منه رفيقة حياته ، وخلق من أحد ضلوعه زوجته وأليفته ، وهو من غير زواج لا بد يشعر بنقص لا يمكن استكماله إلا بضم التي خلقها الله منه إليه ولا يدرك متاع الحياة إلا برجوع ذلك الضلع إلى مكانه ، وأكبر الأمثلة ، وأعظم البراهين . أن آدم أب البشر خلقه الله وحيداً في الجنة . سعيداً في الخلد فيها ، تمتعاً بخيراتنا ونعيمها ، بعيداً عن بلاء الحياة الدنيا وشقائها ، ولكن ذلك كله لم يكن شيئاً مذكوراً بجوار متاعه بحواء . بعد أن خلقها الله من ضلعه وضمها إليه . ومع أنها أشارت عليه بالاقتراب من الشجرة . فخالف ربه وأكل الثمرة وخرجا من الجنة ، وحرما من ثمارها . ولما تاب

وأنا ب : عوضهما الله حلاوة الأبناء ، ولو ذاقا في سبيلهم كل بلاء وشقاء .
 (والزواج نتيجة حتمية للانسانية ، وقد سنته جميع الشرائع السماوية ،
 وكان سبب عمران الكون . ولم تنكره أى طائفة أو أمة . ومهما كان له من
 طرق ومراسيم ، فنهايته واحدة وهى الجمع بين شطرى الانسانية)
 وقد شرعته الديانات العامة ، وسنت نواميسه : —

فشريعة سيدنا موسى عليه السلام شريعة بنى إسرائيل «اليهود» شرعت
 الزواج : وسمحت بتعدد الزوجات والطلاق قبل المسيحية والاسلام
 وشريعة سيدنا عيسى عليه السلام شريعة المسيحيين «النصارى» شرعت
 الزواج ، وحرمت تعدد الزوجات ، ولم تسمح بالطلاق إلا بسبب أو علة
 (وشريعة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام شريعة المسلمين شرعت الزواج
 وسمحت بالطلاق وبتعدد الزوجات ، وكان ذلك شائعاً بين العرب
 قبل الاسلام)

(أى أن شريعة سيدنا موسى ، وهى قبل شريعة سيدنا عيسى وسيدنا محمد
 عليهم جميعاً الصلاة والسلام : سمحت بالزواج ، وبتعدد الزوجات ، وبالطلاق
 فلم تكن شريعة المسلمين وحدها التى سنت ذلك . وبذلك تبطل حجة
 المضللين الذين يهتمون الاسلام بأنه تفرد بما كان فى تشريعه لأنه دين
 الشهوة واللذة) « كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا »

أما وقد أجمعت الأديان السماوية والشرائع الالهية على إباحة الزواج
 وجعلته من أول مقومات الحياة البشرية الانسانية ، وفيه الخير كله بسبب الترفع

عن الدنيا ، وارتكاب المعاصي والخطايا ، وجاء الاسلام آخر هذه الأديان فلم ينزل من عند الله كتاب بعد القرآن ، ولم يبعث نبي بعد نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ، وقد أرسل لدعوة الناس كافة لتوحيد الله وعبادته جل شأنه ولم يأت نبي قبله بغير ذلك . فهو لم يشذ كذلك في شريعته عما كان من النواميس المدعمة للفضيلة والهداية . ولذلك كان فيما سنه الاسلام خاصاً بالزواج : التمسك بتلايبب الفضيلة ، والعصمة من الوقوع في شرور الوثنية وأرجاس الجاهلية . فأسسه على ما يدعم الحياة الزوجية ويقوى بنيانها رغبة في التناسل وخدمة الانسانية ، والتعفف والعصمة من الزلل ، والوقوع في دياجير ظلمات المنكرات والفواحش والآثام ، وغاية ذلك كله رفع مرتبة الانسان ، وتعظيم قدره عن الحيوان .

ومن شر المصائب والبلايا ، أن كثيراً من غير المسلمين — وهم يجهلون أوامر الدين الاسلامي ونواميسه وتشريعه في الزواج — يرمونه بماتمليه عليهم حفائظهم ، وما يدعوههم إلى عدم التزحزح عنه : بغضهم وكرههم دون أن يعملوا لبحثه ودراسته ليدركوا مراميهِ السامية ، ومقاصده النبيلة ، ويتعرفوا قواعده وأوامره في الزواج وتعدد الزوجات .

فأتقدم برسالتى وأدعو الناس تحت لواء الاسلام أن يؤمنوا بالله ورسوله وأذكرهم بما جاء في القرآن الكريم على لسان ذلك النبي الأمين :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا، وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ، وَلَا تَبَدِّلُوا الْحِيثَ بِالطَّيِّبِ، وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا، وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ لَا تَعُولُوا»

وبقوله جل وعلا : —

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» يريد الله أن يبين للناس أنه جعل تقواه وخشيته عقابه في الزواج ، وأنه تفضل على الانسان فخلق منه زوجه ، وخلق منهما رجالا كثيرا ونساء ، وجعل أفضلهم وأكرمهم عنده جلّت قدرته أتقاهم وأخوفهم من عذابه ، وكرر ذكر تقواه وشدة رقبته ، ويقظته لصون الأرحام ، وقد أثبت للناس قدرته بأن كون من زواج هذا الذكر وهو آدم

أب البشر . ومن الآثى وهى حواء شعوباً وقبائل من يوم الخباقة إلى يوم انقيامة ليتعارفوا ويعمر الكون بنسلهم وأن الخطوة الكبرى للمتقين ، وهذا أكبر برهان على فضل الزواج

(والزواج فوق أنه دعامة الفضيلة ، ومدعاة رضى الخلاق العظيم ، ووسيلة تقواه . فهو حافظ الأنساب ومانعها من الاضطراب ، وجامع قلوب الوالدين والأبناء والأحفاد والأقرباء والأنساب ، والرباط القوى بين أفئدة الوالدين ، والمؤلف بينهما وبين أبنائهما ، والمدعم للشعور الوجدانى ، وتقدير مسئولية الأفراد ، وسبب المحافظة على حقوق الجميع . كما أنه هو الحياة الجامعة لأسباب السعادة ، فالرجال لا يستطيعون الحياة بغير النساء . كما أن النساء خلقن من الرجال وللرجال ، فمن عمل على الجمع بينهما فقد سار على سنة الله فى خلقه ، ومن عمل على التفريق بينهما . فقد خالف ربه ، وعمل على غضبه وهو مخرب للكون ، مدمر للانسانية ، عامل على فناء العالم وسرعة انقراض الحياة الانسانية)

(بذلك تصبح الرغبة عن الزواج من أكبر الآثام وأعظم الأوزار . كما أنه قد تسبب عنها أكبر المشكلات المعقدة . التى لها أثر فعال فى كيان الأمم وحياة الممالك والدول ، حيث لا تقوى أمة الا بكثرة عدد أبنائها ، ويشهد ساعدها بهم ، وتعتمد عليهم . وهامى الأمم التى فشنت فيها العزوبة ، تنذرنا قلة الرجال بالفناء العاجل بعد أن قل إنتاج أهلها ، ونذر نسلهم ، ومهما ملكت من قوة العدد ، وكثرة المخترعات والآلات لا يغنيها ذلك عن سواعد الرجال ، وعلى النقيض فان الممالك التى تيقظ مفكروها ، وتنبيه زعمائها ،

ونظروا إلى عواقب الأمور ، وتدبروا المستقبل بنظرات بعيدة . فشجعوا أصحاب النسل المتكاثر ، وعاونوهم لاعداد أبنائهم لمهمات بلادهم وملبأتها ، وحاربوا الغزوبة . فكثرت عدد الرجال ؛ واعتمدت على قواهم واشتدت عزائمها ، وقويت شوكتها ؛ وتبوأَت المقام الأول بين الأمم)

ومن يراجع تعداد الأنفس في جميع الأمم والشعوب والممالك يتأكد أن عدد النساء أخذ في الازدياد عن عدد الرجال ، وقاربت الأمم — التي رغب شبابها عن الزواج — أن يتضاعف عدد النساء فيها عن عدد الرجال . وقد خلق الرجال للسكد والجد والعمل والكفاح ، فاذا انقطعوا لأداء واجباتهم وانصرفوا لأعمالهم ، ولم يوجد من يهتم بشؤونهم ومعوتهم ، والقيام بحاجياتهم في معيشتهم وما كلهم ومشرهم وما سوى ذلك . فانهم بلا شك سيعجزون عن الاستمرار ثم يضعفون ويستكينون . ولو امتنعوا عن الزواج لا انقرض نسلهم ، ولم يوجد من يخلفهم من بعدهم ، ويسد فراغهم بعد موتهم ، وهكذا تنتهي الحياة العامة وتقف حركة الكون وتحين ساعة الحياة الآخرة) هذه هي حكمة الزواج وهي مصداق الحكمة الماثورة في قول الرسول الكريم « تَنَاجَوهَا تَنَاسَلُوا فَإِنَّ مَبَاهِ بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فالغاية من الزواج في الاسلام هي كثرة النسل ونشر الفضيلة ، كما يقول عليه الصلاة والسلام « مَنْ

تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ شَطْرَ دِينِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الْآخَرِ » (

وان خفيت هذه الحكمة عن أعداء الاسلام فتحدثوا بغيرها فسيبها جهلهم لما وضعه الاسلام من النظم والقواعد التي أحاطها بما يؤدي إلى تنفيذها بالشدة والدقة ، والحرص على المصلحة العامة . وأهم ما كان فيها ما هو خاص

بحماية حقوق المرأة وصونها، والمحافظة عليها، فقد شرع الاسلام في كل خطوات الزواج . من الخطوبة أى عند اختيار الزوجة ، والصداق ، وما يكون من أثاث ومتاع ، والمعاشرة ، وفي الحمل ، والولادة ، والرضاع ، وفي النفاس والفظام ، وفي التوريث والطلاق ما يؤكد أنه أشد الأديان اهتماما بحقوق المرأة ، ولها في صفحات التاريخ الاسلامي ما يجعل الجاحدين بفضل الاسلام يخرون سجداً أمام عظمة تشريعه

ويكفي دليلاً على صيانة حقوق المرأة والغيرة عليها ، أن حافظ على عرضها ، وطالبها بصونها ولذا يقول الله جل وعلا :

« وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ، وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَالْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ »

ثم يقول وهو أصدق القائلين :

(« الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا

رَاقَّةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ
أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ » (

١) هكذا يحوط الاسلام الزوجين بسياج لا يستطيع أحدهما أن يتسرب
منه، أو ينقص الآخر أى شىء من حقوقه قبله ، بل يشتد في العقوبة على من
أجرم منهما وخان رفيقه ، وهذه عنايته بالمرأة ألا تكون فريسة الظن أو
الافتراء ، فلا يتحفز الرجل لرمى زوجته جزافا إذا أدرك غاية العقاب القاسى
الذى سيناله وعلم ما سيكون نصيبه إذا أساء إليها ، كما أنه جل وعلا ينذرهما
بدورها بالجلد ، وهو العقوبة التى لم يعامل بها القاتل الذى جعل عقابه القتل ،
وأما الجلد فهو العذاب القاتل الذى يعانيه مرتكب الزنا . كل هذا صونا للأعراض
ومحافظة على العفة وعزة النفس والشمم ، وتمسكا بالفضيلة حتى يأتى النسل
بريثا من الدنس ، حافظا لنسب أهله ، وتتكون العائلات والأمم والممالك من
أرواح شريفة تقدر معنى وجودها في الحياة ، والصالح لا يأتى إلا من
النبت الصالح

٢) وما دام الزواج هو نتيجة التقاء عضوى التناسل عند المرء وزوجه فلا بد
أن يكون هذا الالتقاء بعد تمحيص وتدقيق في تكافؤ الجاه والحسب ، والمال
والقوة ، والصحة ، والحياة العائلية والبيتية والأوساط ، حتى تكون نتيجة
مرضية ، وعنوان هذا التكافؤ: تضامن الزوجين في السراء والضراء ، وتعاونهما
على الدهر وحوادث الزمان . لذا يجب أن يحرصا على هذه الحياة الشريفة

ولا يفرط في تطهيرها دائماً من أدران الجهل وعواقب الطيش والجنون ، وقد يستبيح بعض الأزواج لنفسه التقاء غريباً غير مشروع بأن يأتي عملية الزواج مع غير زوجته ، ويتغافل عن أساس الزواج والغرض منه والغاية المقصودة ، وهي التناسل فيعتدى على عرض غير مباح له ، ويباشر عملاً من أعمال الجاهلية والتوحش ، ويتناسى أن العرض المعتدى عليه ربما كان لمن يمت له بصلة ولو عن طريق المعرفة أو الصداقة . وأنه بعمله الفاسد قد ارتكب أفظع وأضر المنكرات والموبقات ، وبهذا العمل المعيب الذي يتم تحت تأثير الشيطان وغوايته ، وبعوامل الشهوة البهيمية وبغير رباط الزوجية ، فلا يفرق بين أهله والحيوان الأعجم ؛ ويكون كل من الآثمين : الذكر والأنثى مباحاً لآى إنسان آخر ذكراً وأنثى . ولئن أثمر هذا الالتقاء المعيب ؛ فسيكون هذا النبت الفاسد سبب اضطرابهما ، ومعرفة لكليهما ، تتحمل المرأة أفظع الآلام النفسانية ، لبروز ذلك الأثر الفاضح وظهوره عليها خاصة ، ثم تتبدل لحظات الاثم الى التدبير والتفكير للتخلص ممن أجرما فأوجداه ، ويعملان جهدهما لتدبير الوسائل على عدم نسبته إليهما وبرائتهما منه ، وفي معظم الأحيان يدفع بهما التورط إلى ارتكاب أفظع الجرائم ، وأشنع الآثام ، فقد يتفقان على وأده قبل أوأنه ، أو قتله بعد ولادته ، أو إلقائه فى الأزقة والطرقات تتلقفه الصدق والاقدار ؛ وهذه هى نتيجة من لا يتدبر حكمة التشريع فى الزواج ويظن أن الغاية منه المباشرة أو الالتقاء الشهوانى فقط كما أنها دليل مقنع على أن رابطة الزواج أشرف وأعز من كل رباط غير شريف ، وأن تلك الخيالات التى يتخيلها المعرضون عنه هى تدابير شيطانية ، وهو اجس لا يصح أن

يستسلم لها الانسان العاقل الشريف

والرجل والمرأة اللذان يسمحان لأنفسهما بالالتقاء المعيب غير المشروع
يكونان كالسلع المعروضة . في مقدور كل إنسان الحصول عليها ، وهما يندفعان
في طريق الشهوة واللذة البهيمية ، ويتغافلان عن العنمة والشمم والشرف
والكرامة ، ولا يجهلان أن قد تجمع الصدفة بين سليم معافى من الأمراض
القتاكة ، ومريضة عبثت بها ميكروبات الأمراض المعدية فتلقحه بجراثيم
أمراضها ، وتتفشى في جسمه الصحيح ، ثم ينقل ما ناله منها إلى غيرها ومنها
إلى غيره ويصبحان كالوباء الفتاك ، يهلك كل من يقع في أجوائه ، وقد يدفع
الجهل بعضاً من الأزواج إلى سلوك هذا المسلك الخشن : فتضاعف الأضرار
والأضرار ، وتتفشى الأمراض ، وتنتقل الجراثيم وعدواها إلى الأبناء الأبرياء
ويتوارثها الأحفاد إلى أحقاب متتالية والعياذ بالله

أفلا يتذكر المعرضون عن الزواج هذه العراقب ، ويتدبرون مصير
الفساد ، ثم يرجعون بأنفسهم إلى ما كان من أمرهم ؛ وربما قد وجدوا من
أبوين فقيرين لا موازنة بين حالهما وبين ما فيه هؤلاء المعرضون وقد شاءت
إرادة الله بما استطاع به الوالدان قدر تربيتهم وتعليمهم فأوجدوهم في
المجتمع الانساني بما هم عليه ؟؟؟

١ بحث الكثيرون علة ذلك الاعراض فكانت نتيجة معظم المباحث :
المادة والطمع وحب الظهور ، والخروج عن المألوف ؛ ونسى الجميع أن المال
والجمال عرضان زائلان ، فبثرة صغيرة تذهب جمال الوجه الصبوح ؛
والمال صديق لا أمان له يخون في وقت القدر فالأولى الاعتماد على الله والاعتداد

بالنفس ، والتبصر وحسن التدبير والسير في محدود المعقول

١) فالاعراض عن الزواج مخالفة لأمر الله ، وخروج على سنة رسوله ، وسبب في جلب المصائب والمحن ، وداعية إلى انقراض الانسانية ، وتفشى المنكرات والموبقات ، وانتشار جرائم الامراض المعدية القتلة ، وانتصار الرذيلة على الفضيلة ، ولكي أقوم بواجبي أجد فرضاً على ولزاماً في عنقي أن أقدم تجاربي في هذا الموضوع ورأيي في الفتى والفتاة ؛ وأعمل جهدي في شرح العلة وتشخيص الداء ، ووصف العلاج وما أعتقد من الدواء (

أراء وتجارب لي في الحياة والفتاة

١ — لقد تمسكن الرجل بمركزه في المجتمع من الظهور ، واستطاع بمكاته ومنزلته أن يتمتع بحقوقه ، واكتسب قدماً إن عفواً وإن حقاً أن يسيطر على المرأة ؛ والمرأة في دورها وقفت مواقف حددت لها مركزها ، وبينت لها واجباتها فأظهرت حقيقة حالها ، الا أن قوة الرجل وهيمنته تغلبت عليها ؛ فأتى عليها حين من الدهر كانت في تصرفاتها مترددة بين ما ينفعها وما يضرها ، ومرت بها أعاصير الايام ورياح الحياة فشعرت بنصيب من الحرية ؛ فلم تقدر هذا النصيب ، فأرادت الاتدام للتمتع به ، وكانت كالطير فاندفعت في الطفرة وأوجدت نفسها في موطن جدير بالبحث والتدقيق ، وتعرضت لأقاويل الناس فمنهم من سايرها فأقرها وأنصفها ، ومنهم من وقف أمامها فأنكر عايتها واعترضها

٢ — والمرأة وهي أنقص تكويناً من الرجل فهي أسرع منه انقياداً ، وأشد تأثراً ؛ ولها من أنوثتها ضعف في العاطفة حيث تتصرف بشعورها وإحساسها وراء تلك العاطفة ؛ ولو أنها أسرع من الرجل في التماس المعاذير وتدير الحيل ، وإحكام التفكير في التخلص ؛ فلها وقت الواقعة ، أو الحوادث دائرة واسعة في المكر والدهاء والخديعة ؛ ومهما بلغ عقل الرجل فلا يستطيع مجاراتها في هذا المضمار ، ولا يملك شعوره وإحساسه مثلها

٣ — قامت المرأة أقصر من قامت الرجل ؛ ومجموع وزن هيكلها العظامي أخف وزناً من هيكل الرجل ، وقلبها أصغر من قلب الرجل ؛ فهو أخف وزناً ، وأسرع نبضاً ، وأكثر عدداً ، ودم المرأة في كريات الحمراء أكثر عندها من الرجل ، مع أنه أقل مقداراً عندها منه . كما أن كريات الدم البيضاء عند الرجل أوفر منها عندها ، وتنفسها أسرع منه ، وجهازها الهضمي أقل احتياجاً للطعام منه ، ووجود المحيض عندها جعلها أقل قدرة منه على الحركة والانتقال وعضلاتها أضعف من عضلاته بما يقرب من ثلث قوتها ، وجسمها قابل للسمن والنمو عن الرجل ، وقوام المرأة إذا قلت حركاتها ونشاطها أبعد عن الاعتدال من الرجل

٤ — الأمومة هي التي تكون طبيعة المرأة ، وهي التي تميزها عن الرجل وأداؤها لوظيفتها الفطرية هو سر وجودها في الحياة الدنيا ، وبالأُمومة تمكنت المرأة من حفظ كيائها ، والاحتفاظ بركزها في المجتمع الانساني ، وفازت بالاشفاق عليها ، والرحمة بها ، واستمالة القلوب إليها ، وهذا هو أول دعائم تكوين العائلة ، والعمل على بناء الانسان ، ولها الفضل الكبير

في تكوين الأمم ، وحفظ العشائر والقبائل والشعوب .

٥ — مع أن الأمومة من أشد أثقال المرأة . وأكبر أعبائها ، وأعظم جهودها ، وأصعب أحمالها . فإن للأم امتيازاً خاصاً يظهر عند مقارنتها بآثارها اللأني لم يلدن . فتظهر كالزهرة المفتحة الأكام . الشدية الراحة حينما ينظر إلى أولادها ، وتظهر فيهم روح الحياة ، وتبدو منهم ثمار الزوجية ، وعلامات كيان الأسرة .

٦ — أنوثة المرأة هي سبب خضوعها للرجل . لأنه هو الوحيد العامل المتمم لإنتاج ما خلقت من أجله ، وهو التناسل . ويستحيل عليها الحصول على ثمرته إلا بواسطة الرجل . فلا بد من التجأ إليها ، واعتمادها عليه ، والاستعانة به لاحتياجها إليه ، وتلك هي روابط الانسانية . فيقومان بما يديم حياتها ، ويكثر نتاجها .

٧ — ليس ما كان من خضوع المرأة للرجل ، وتأخرها عن مجاراته في الرقي . إلا بسبب طبيعة تركيبها ، وأصل خلقها ، وتكوينها الجسماني ، وأن وظيفتها الحيوية . لا تستكمل إلا باجتماعها معه ، والمؤثر العام في هذا كله أنوثتها ، ولأنها خلقت من الرجل « اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا » .

٨ — ليس في خضوع المرأة للرجل ذلة أو مهانة . مادام الرجل يقابل عملها بالعطف والحنان والرأفة ، واللطف والشفقة ، ومادام يقدر جهودها بالرفق والتعاون . ولئن استغل خضوعها ، واستعمل الغلظة معها ، والشدة

والقسوة عليها . ثم سايرته فلم يتهذب ، وتحملته فلم يرتدع ، وصبرت عليه وجارته فلم يعتدل ، فخضوعها لا يسقط من كرامتها ، بل يوطد مركزها ، ولا بد أن يدفع في نفسه عوامل التبكيث والتأنيب . فيرد إليها حقها ، ويثوب إلى رشده ، ويعود إلى صوابه ، ويعاملها بالحسنى ، مما يوثق عرى الألفة والمحبة بينهما ، ويضاعف ثمار الحب الخالص في قلوبهما ، وعلى الضد . إذا أصر على عناده ، فقد لاتدوم رابطتهما ، وتنقسم عراها ، وعلى الرجل أن يدرك أن قوامته على المرأة « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » ليست لاستعبادها أو استرقاقها . بل هي قوامه ترجع كلها إلى حدود ما أَرَادَهُ اللهُ . كلها الاشفاق عليها ، والرفق بها .

٩ — المقياس الأمثل لحفظ كرامة المرأة واحترامها . وإعلاء مكانتها ورفع شأنها . هو ما حدده الدين ، وأوضحته الشريعة ، ووافق على تنفيذه الاجماع ، وارتاحت إليه المجموعة البشرية ، وأقرته النوااميس الطبيعية ، وسارت عليه الهيئات الاجتماعية وضمنته العدالة والعادات والقوانين المشروعة ، واتفق مع الأوساط التي تعيش فيها ، والبيئات التي نبتت منها .

١٠ — يجب إعداد المرأة لستمتع بحقوقها التي منحها الله ، وأوجد لها ، وذلك بتهيئتها لمعرفة واجباتها ، وتقدير المسؤوليات التي عليها ، وتحديد نتائجها وتبعاتها ، ولا يتسنى الوصول إلى ذلك إلا بتربيتها التربية الصحيحة . التي تؤهلها لملاقاة المستقبل في تطوراته بقدرة ثابتة . فتعرف ما لها وما عليها . وتتعلم حقوق زوجها عليها ، وحقوقها عنده ، ويفهم أنها ليست مرغمة على « ٣ — الزواج في الاسلام »

الخضوع له ، أو إرضائه لاجابة رغباته ، بل عليها إطاعته فيما أمر الدين ، وحدده لها . لاعن قهر وجبن وضعف واستسلام . بل عن وفاء وولاء ، ومحبة وإخلاص ، وتضامن وتعاون ، واتحاد واتفاق ، وسلام ووفاق .

١١ — أثبتت التجارب أن عقل الفتاة وإدراكها يبكران عندها قبل

الفتى . كما أن نموها عندها يقفان مبكرين عنده ، وذلك لأن الأمومة تشغلها بواجباتها ، وإعداد العدة اللازمة لأطوارها وتطوراتها . فيقف بذلك النمو ، والمرأة تبدي عواطفها في كل شيء بما يشابه عواطف الأم ولولم تلد ، ومع قدرة الأم على الصبر والتجمل . فانها تتحمل في سبيل تكوين الطفل وإعداده . وتظهر كل قوتها وقدرتها ، وتعمل كل ماوسعت من جهود في سبيله . غير أنها مع ذلك كله تتساح مع الرجل عند حبهاله وميلها إليه ، وتضعف أمامه . مادام همها الوحيد العمل على مرضاته . والمحافظة على مايسره للاحتفاظ بمكاتها عنده ، وقلبا تصل المرأة المستتلة في الرأى ، الحرة في التفكير . إلى ما تصبو إليه نفسها من السيطرة على الرجل ، أو الانتصار عليه . إلا إذا كان ضعيف الارادة ، فاطر العزيمة ، وقد وهب الله الزوجين وهما عنصرا الانسانية من قوة المحبة والجازية . ما يؤلف بين قلوبهما ، ويجمع بينهما ، ويربطهما بما يقوى عرى ذلك الجمع ، وينمى ثمرات التآلف ، واستقلالها وحرية تفكيرها لا يبيحان لها تخلى حدودها الطبيعية .

١٢ — فوز المرأة ونجاحها مع زوجها . يتوقفان على ما يكون من مقدار الحب المتبادل ، والعاطفة والميل ، وما يكون لها عنده من الرغبة والقبول ، ودلالات ذلك ما يبدو منهما من — معاملة حسنة ، وتسامح معقول ، وتبادل

في الرأي ، وتعاون في الحياة ، وتضامن في السراء والضراء .

١٣ — تهبط درجة سعادة الزوجة ، وتفشل كل مساعيها وجهودها . متى فترت عاطفة الرجل نحوها . لأنها إذا تمكنت من الاستدلال على حقيقة مكاتها عنده ، وقدرت ميوله . من حب ورغبة وميل وتوافق . أو من كراهة أو إعراض . أو فتور وشدة . تستطيع الوصول سريعاً إلى حقيقة موقفها ، وهناك تنوع درجات استدراجها هي لليل إليه ، أو النفور منه ، ولها عاملان قويان يشجعانها على سرعة استمالته ، وأولها الجمال ، وثانيهما الجاه والمال ، ويكون ذلك دليلاً على عدم نضوج عاطفة الميل الحقيقي عنده .

١٤ — لا يتغلب الرجل على الزوجة ، ويتحكم في عواطفها . فتغفر له سيئاته . إلا إذا كان جميل الخلقة . مستكماً قوة الجسد ، متحلياً بصفات الكمال فيهرها ويطنغى أثر ذلك على عقلاها ، وتضطر إلى التبصر والروية ، ولا تتسرع في الحكم على هفواته . التي تتوارى وراء تلك الحسنات ، ومع ما للبال من سلطان قاهر . فان أثر تلك الحسنات يجعلها راضية بما هي عليه ، ولا لوم عليها . فان ذلك يوجد عند الرجل الرغبة بعد الاعراض ، ويعظم درجة الحب في قلبه فيسايرها ويتقرب منها ، ويحاملها ، وينسى ما بينهما من فوارق .

١٥ — لا يؤمن اضطراب عقل المرأة ، ولا تكون في أمان دائم مادامت في جو ضيق محكم الأرجاء . تشعر فيه أنها محكومة مقيدة . وتفهم أنها تحت تأثير خاص . حتى إذا نفذ إليها شعاع من حرية . أو بصيص من إطلاق ، جعلها تسعى إلى الخلاص مما هي فيه وتنجو من ربة ما تعانيسه ، وبضيع منها التفكير في العادات والتقاليد . وتقلقل المبادئ والعقائد ، وتذبذب

حركاتها ، وتضطرب أمورها . فتتسبب كل شيء . وتفقد كل قوة تحتوى وراءها
فينهار كل ما ارتكزت عليه . فلا تجد ركنا تأوى إليه . وعلى ذلك يجب عدم
إكراهها إلى اللجوء لذلك . ومن الضروري إيجادها في جو هادئ

١٦ — في المرأة قوى كامنة . تؤهلها لتحسين حالها في أى وقت . وتعدّها
في أى مناسبة للإصلاح ، وليس للرجل أن يقسو عليها . أو يتحدّاها . ولو
أدرك الرجل مقدار ما يتسع للمرأة من احتمال المكاره ، وتذليل الصعاب ،
وما يتفق لها من أساليب الحيل وطرق التحمل ، فهو لا يستطيع مجاراتها
فيه ، ولو أنه بلغ ما وصلت اليه من تلك الأساليب ، لما أشكل عليه أمر
ولا تغلبت عليه فكرة ، ولا تعقدت عنده مسألة ، ولا أخرج صدره في أمر
من الأمور ، فمن النساء من تصمد للشدائد ، وتقوى على احتمال المكاره .
وتتحايل على حل أعقد المشكلات دون التأثير على كيانهن ، وذلك على النقيض
من الرجل ، فقد يؤثر في قوته التفكير ، ويفنى جسده التدبير ، ويعتريه الضعف
والهزال ، ويظهر أثر ذلك فعلا سريعا .

١٧ — المرأة في أهنأ ساعات حياتها ، وأهدأ أوقات نموها ، وأدق حالة
من كمال عافيتها ، وأبهى لحظة من ظهور جمالها . تكون عرضة لشدائد
ومتاعب وصعاب ومشاق ، وهى مع رققتها ورفاهيتها أكثر تحملا من الرجل
وأشد مراسا في المقاومة ، وأظهر دليل على ذلك تكرار الحيض ، والحمل ،
والولادة ، والنفاس ، والرضاعة ، وتربية أولادها ، كل ذلك جعلها تتمرن
على هذا النضال النفسانى ، والجهد الجسمانى ، فوق ما قد ينتابها

من الولايات ، بمرض الأولاد أو موتهم . وما يصادفها من كوارث بفقد عزيز من الأهل والأقارب ، أو ما يقع لها من خلاف مع زوجها أو غيره من الحوادث .

أمام هذا كله يجب على الرجل أن يقدره للمرأة ، ويقابله بافراح صدره لها ، واشفاقه عليها ، وهى تقدر له هذا الصنيع لأنها معرضة للغم والخوف والكرب والاضطراب ، فيشترك معها وليدها فى مهده ، وصغارها فى طفولتهم ، وأولادها فى شبابهم .

١٨ — المرأة بأنوثتها وأهومتها تتعرض للأخطار والأمراض وللموت فى زهرة الشباب ونضرة العمر ، وأكبر ما يدعو إلى رحمتها ، والاشفاق عليها الآلام المبرحة ، والأوجاع الشديدة فى الحمل والوضع ، وما تعانى فى الرضاع وأدواره ، والفظام ، والحكمة التى تتدرج فيها لتربية الأولاد وكثرة عددهم وكل ذلك يحتم على الرجل العمل على تخفيف تلك الأحمال ، فلا يقسو عليها ، ولا يخرج عن طوره معها . ولا يكلفها ما هو فوق طاقتها فتضاعف أثقالها . وعليه أن يدرك ويتأكد أن كل ما تقوم به الزوجة الأم من الأعمال البيتية ، فوق واجبات الأم هو فضل من عندها ، وتعاون مع زوجها وأفراد الأسرة ، وتدعيم لأساس العائلة وتثبيت لدوام حياتها . إلا ما كان خاصاً بها من واجبات لزوجها ، وضروريات لنفسها .

والرجل مفروض عليه تلقاء ذلك . أن يخفف من غلوائه ، ولا يسبح فى عليائه ، وليست الزوجة من سقط المتاع ، وإنما هى كالشجرة اليانعة ، تنمو سراعاً ، وتنمو مبكرة فى صباها ، وتؤتى أكلها تباعاً ، حتى إذا انقضى شطر

الصبا ، وولت أيام الشباب ، وتكرر اقتطاف تلك الثمار ، اعترافها الضعف ، وحل بها الكبر ، وأضحت كالجذع شاخ قبل الأوان ، وأصبحت كالمصباح أنار لغيره ، وأحرق زيتة ، فانطفأ نوره من غير أن ينتفع .

والرجل على النقيض . كلما دخل في تطورات الرجولة : شب ونما وترعرع ، وكبرت قواه ، وتضاعفت قدرته ، وزادت محاسنه . فلا يصح له وهذا حاله ، وتلك حالة المرأة ، وقد تمتع بثمارها الشبية ، واقتطفها بيده من أغصانها ، وتذوق طعمها اللذيذ . أن يتنكر لها متى كبرت . أو يسخر منها إذا ضعفت . أو يتخلى عنها إذا عجزت . بل واجبه أن يقوم بدور الرجولة . فينسى أنايته ، ويبذل مروءته . ويبدى شهامته . فيبها قلبه . ويبذل لها حبه ، ويتعاون معها ، ويتناهى في العناية بها ، ويبذل قواه في مساعدتها ، وبذا يقابل الجميل بمثله ، ويرد إليها بعض ما قدمت إليه . بل واجبه أن يضاعف لها ما قدمته فيزداد في عنايته بها . كما يهتم بثمارها وهم فلذات كبده ، وأبناء صلبه ، وخلفاؤه من بعده . فلا يتركهم كلا على سواه ، ويبنى لهم من المجد : حسن التربية وكال التعليم ، وإتقان التهذيب ، ويقدمهم للمجتمع الانسانى رجالا عاملين . يحفظون له خالد الذكر وطيب الأثر .

١٩ — تتطور أحوال الفتاة في سن البلوغ تطورا يوقفها موقف الخجل ، ويزداد حيائها فيقرب من الخوف والحذر ، أو يضطرب أمرها فيصل إلى الاندفاع والذهول ، وقد يتجاوز الحد إلى التفريط ، ويخلق فيها شعور ووجدان إماميدفعان بها إلى العزة والعفة والشمم ، وهو الغالب لأنها من طبعها الحياء . أو يولدان عندها رغبة تدفع فيها الميل إلى الشهوة والانقياد ، وقد

يقف أمامها صفاء فكرها ، ونمو إدراكها . وحسن منبتها ، وطيب عنصرها فيكون سداً منيعاً لرغبتها . فتجربى في دمها حياة جديدة . أساسها التدبير والتفكير ، والنظر في المستقبل ، والطموح إلى الآمال . فان عفت رأيها ، وسمت نفسها ، واتجهت ناحية النبل والشرف . ارتاحت نفسها من اتجاه جهودها إلى استنباط الحيل ، والمبررات والمعاذير ، ولم تك في حاجة إلى ترويح حركاتها . فتقنع بما هي عليه ، وان تسلط عليها سلطان الهوى والحب اضطرب حالها ، وخذقت براعتها . في إتقان عملها ، ومجارات أهوائها ، وأنفقت كل أوقاتها : في الزينة والتجمل ، والأناقة ، وعرضت نفسها لاجتذاب الأنظار إليها . فينقلب خجلها إلى الصلف والزهو ، وحياءها إلى الظهور ، وعدم المبالاة ، وقلة الاكتراث ، وتدفع بها الانانية إلى منافسة نظيراتها فتسع عليها دائرة تصرفاتها ، وقليل ما تملك إتيان دورها فتبوء بالفشل والخذلان والخسران ، وقد فقدت عطف الأقربين . ورحمة المحبين .

٢٠ - يجب أن يعنى بالفتاة في سن البلوغ ، ويسهر عليها بابعادها عن جميع المؤثرات ، وتنقية الجو المحيط بها من أدران الفساد ، وتلطيفه من حرارة الخداع ، وتحطيم شرك الاستمالة ، وفخاخ الغواية . مع تمثيل أدوار الحياة بحقيقتها أمامها . خالية من الدخائل والبدع ، بعيدة عن مفاصد التقليد الأعمى وفي هذا الطور تكون دروس الحياة العائلية المنزلية ، وتكون تعاليم الاخلاق الزوجية . فتقطع لدراستها ، ومباشرة واجباتها ، وتدريبها عليها ، ويبدأ شعورها وإدراكها لنتائج إتقانها أو إهمالها ، وتأمين بانسخالها بها . شر شرك المفسدين ، وتنجو من أحاييل وحيل المخادعين . أما إذا تركت في

تلك السن وشأنها ، وأهمل أمرها . فقد وضعت تحت سلطان شياطين الانس وهم أشد بلاء من شياطين الجن .

٢١ — الغيرة أشد العوامل أثراً في خصال الفتاة ، وهى نتيجة تصرفاتها فان كان ما غرس في نفسها للخير . فأثر ما تغار عليه أو منه فهو للخير ، وإن كان للشر فالنتيجة للشر ، والغيرة من أهم عواملها التنافس والمباراة ، وهى تولد الرأى والتفكير والتدبير للاتصار ، وبلوغ الغرض ، وفى طيات القلوب تذكى الغيرة نار الاستمالة والمودة والمحبة ، ويكون الاتجاه إلى دوام الاتصال ، ووثيق الارتباط مع من تغار عليه ، وتميل إليه ، وتحفظ بمحبته أما الغيرة التى منشأها الحسد والحقد . فهى تدعو إلى المنافسة ، والمعاكسة ، وحب الظهور على الأقران والأتراب ، وتودى إلى المزاحمة بأى وسيلة ، وكثيراً ما يتغلب الشر على الخير ، ويكون من وراء ذلك نتائج غير محمودة العواقب ويتعاضم شرها وضررها إلى الكبار .

٢٢ — العاطفة فى الانسان هى المحرك الأساسى فى تصرفاته ، وهى مدار كل حركاته وسكناته . ففى الرجل هى الهدى الذى يهتدى به ، ويسير نحوه ، وفى المرأة هى الحب الذى يملك كل حواسها ومشاعرها ، والحب عندها فى كل شئ حسب موقفه منها وموضعها فيه ، فحبها للزوج ، ليس مثله للأب والأم والأخوة والأقارب والأصدقاء . وحبها لأبنائها ليس كحبها لزوجها أو هؤلاء وحبها للحرية والاستقلال ، ليس كحبها لباقي المتاع ، وإنما تسير فى مجموعها وراء العاطفة الكامنة ، على أنها لا تخلو من التطورات النفسانية ، فقد تدفعها عاطفتها إلى الافراط فى العناد والتعنت ، أو الشدة والقسوة ، أو الخصومة

والانتقام ، وكل ذلك يولد عندها: الغل والحقد والحسد ، وقد تدفعها عاطفتها إلى الحب الخالص ، والوفاء والمجاملة والاكرام والاحسان ، وهذا يوجد عندها التساهل والتسامح ، والميل إلى فعل المعروف ، والسير بالحسن في كل معاملتها ، وقد تدفعها عاطفتها إلى الخوف والفرع ، وتصور الأشياء على غير حقائقها . فتضطرب في معاملتها من غير قصد ، وتتولد عندها الوسوس إلى غير ذلك مما تجره العاطفة

والرجل يندفع بدوره وراء عاطفته . إنما يختلف عنها بقصر جبل مكره فيضطر إلى ضبط نفسه ، ويملك زمام حواسه . فيهدى من ثورته ، ويخفف من حدته ، ولكنه مع الأسف إذا تورط يصعب خلاصه ، وتتعدد أموره .

٢٣ — المرأة بفطرتها الطبيعية أرق شعوراً من الرجل ، فهي كما تقدم أشد تأثراً بالعاطفة ، ولكنها إذا وقف في طريقها أى عائق . تغلب عليه بكل الحيل ، وفي سبيل فوزها ، ووصولها إلى أغراضها . قد تنقلب من حمل وديع إلى نمر كاسر مفترس فتتحول من الرقة إلى الشدة ، ومن الرحمة إلى النعمة ، ومن التسامح إلى الانتقام فيكشف سر دخيلة نفسها ، وتظهر على حقيقة فطرتها . وهى لا تحجم عن المجازفة والتضحية إذا تملكها الغضب للأخذ بالثأر ، وقد تفقد الرشد والتريث إذا حوربت فى آمالها . فتجاوز حدود العرف والمألوف ، ومن سوء حظها أنها إذا سلكت هذا المسلك الحشن مكنت خصمها منها . فان كان ذلك مع زوجها . عمد إلى إثارة غضبها ، وتنكر لها . بعد أن يسودها بسلطانه ، ويرائها ويخادعها ، ويعاملها بالحذر والحيلة ، والمكر والحيلة ، والتظاهر والنفاق . وذلك كله لا بد من تأثيره على عاطفتها

فيصبح الحب جفاء ، والميل كراهية ، وتبدأ حرب الانتقام .

٢٤ — لا تملك عاطفة المرأة النفسانية بسهولة . بل بالجمالة وحسن المعاملة ، والتودد ، واللين في غير إفراط ، والتمسك بالحقوق في غير شدة ، والعطاء في غير تبذير ، والنصيحة في غير تعذير ، والملاطفة والمحاسنة . هنالك تبسط يدها وتفتح قلبها ، وتجتذب إليها أليفها وحببها .

٢٥ — لا تملك عاطفة المرأة الحيوية بمجرد الاقتراب أو الاضطجاع بل تتضاعف وتولد الحب الدائم في قلبها لزوجها . بالمداعبة ، والمباشطة ، والاستمالة والترغيب ، وإظهار عوامل المرح والسرور ، وإبداء مولدات الميل والرغبة . فتصرف كل مشاعرها وحواسها إلى زوجها . فتثور ثورتها الغليبية ، وتؤدي نتیجتها الفطرية ، وقد حققت التجارب أن أنانية الرجل الذي لا يهتم في هذا الموقف إلا بنفسه . فيرضى رغبته ، ويقضى حاجته من غير اهتمام بزوجه فقد يدعو ذلك إلى حب غير دائم ، وربما انقلب إلى الكراهية ، وكان علة في عدم الوفاق ، ومن البديهي أن عاطفة الحب عند المرأة تدوم مادام اتصالها بمن تحبه ، وكلما نالت قصدها منه . ازداد حبه عندها ، وهذا الموقف أعز ما ترجوه من الرجل وفيه كل المتاع .

٢٦ — كثير من الرجال قد يفتر حبه ، وتهبط درجة ميله . بعد بلوغ غرضه ، وقضاء وطره ، وربما يفقد عاطفته فيعود التقارب إلى التباعد ، وينقلب الوفاء إلى الجفاء ، ومن التذلل إلى التدل ، ومن الحب إلى الخب ، وهذا ليس من المروءة في شيء . لأنه يدل على الجحود والجمود ، والنذالة وقلة المروءة . ولا تجب مقابلة الاحسان إلا بمثلها .

على أن التجارب دلت على أن الرجل الذي يقف أمام المرأة ، ويستكين
الرأيها ، ويستسلم لأمرها . ففسيره كيف تشاء ، وتقسو عليه ، وتتحكم في عواطفه
لا يستطيع أن يملك قلبها ، ولا يسيطر عليها ، وأما الرجل الذي يحافظ على كرامته ،
ويحتفظ بقوامته ، ويبدى همته ويحترم رجولته . فانه يكسب قلبها واحترامها
ويتمتع باخلاصها وحبها . فتتنظر إليه نظرة المعتر بصديقه ، المطمئن برفيقه ،
الآمن بعشيرته ، الغنى بأليفه وبمودته . لأن الرجل مادامت هذه صفاته يكون
دائم المسؤولية . فعليه أن يكون رصيناً رزيناً ، متدبراً مفكراً ، مقدراً نتائج
عمله . وبغير هذا يسىء إلى نفسه كثيراً في الحياة الزوجية .

٢٧ — المدنية الحقيقية هي سمو الأفكار والمبادئ ، ونبل الغايات
والمقاصد ، وطهارة الأعمال والعادات والمعتقدات ، وهى ثمرة ارتباط
الجنسين معاً على أقوم المبادئ ، وموقف الزوج يقضى عليه بانارة الطريق
للزوجة وتسهيل الوسائل لتمتعها الصحيح بالمدنية ، وإرشاده لها لتتعاون معه
على إتمام مهمته ، وأداء وظيفته ، والزوجة فى دورها تعمل جهدها لتدعيم
همته ، وتقوية عزيمته ، وما يضمن له النجاح فى أعماله ، ويوصله إلى بلوغ آماله ،
لأنها تحمل اسمه ولقبه وشرفه ، فتربى أولادها منه ، وتحفظ قدره ، وتعمل
على إعلاء شأنه ، ويعود خير ذلك إليها ، وهنا تتحقق المدنية الصحيحة ،
وتتقطف ثمارها ، فالرجل يعمل وقواه القدرة والجهود ، والزوجة تعمل
وقواها الاحساس والشعور ، وعملهما معاً للفضيلة والانسانية والآداب
والأخلاق والعادات . وبمجموع ذلك لله والدين والوطن

٢٨ — لا يمكن حرمان المرأة من حياة تعودتها . أو استلابها بميزات

اكتسبتها . أو استرداد حقوق حصلت عليها أو أى شىء نالته ويجب السير معها باللين والهوادة ، لا بالشدة والعنف . فقد يخشى عنادها ، ويخاف عاقبة غتها ، وخير ما يكون ملاطفتها ، ومسايرتها بالنصح والارشاد ، حتى تتدرب على الاتتفاع بالمعقول من تلك الحقوق والمميزات ، وتركيزها على أسس قوية ، وقوى صالحة ثابتة ، مع التدرج بها حتى تصل إلى مايرجى لها ومنها من النفع والخير .

٢٩ — وظيفة المرأة في المجتمع الانسانى . تستوجب تقديرها لمسئولياتها حتى تتبوأ مكانها في الحياة ، وتشغل مركزها وقد أوجدها الله ، لتسوى إدارة مملكتها الداخلية ، وتسوس أمورها المنزلية ، وتسود جميع أفراد الأسرة الذين يعيشون معها ، فتبذل جهدها ليرفرف علم السلام والاطمئنان ، ويعم الرغد والهناء ، وتسود الطمأنينة ، وينعم الجميع في بهجة شمس السرور والانشراح ، وبفضلها تؤلف العائلة والأسر ، وتنظم الممالك والدول .

٣٠ — لأن كان الاجماع على تعليم الأولاد الذكور وتربيتهم وتثقيفهم ليكونوا رجال المستقبل وعدة الدفاع عن الأوطان ، ليحافظوا عليها ، ويعملوا على رفعة شأنها ، فالزم من ذلك وأولى : تعليم الفتيات لبنان العائلات والأسر . وتكوينها ، وإعدادهن ليكون أمهات صالحات ، وزوجات مخلصات يعملن على تربية الأولاد وتلقينهم واجباتهم ، ويحفزنهم على الاقبال على التعليم ، ويتعاونن مع الرجال لتأدية واجباتهم ، ويشددن أزرهم ، لمقاومة الحداث ، وتصاريه الزمان . فيوجدن الحياة الطيبة المطمئنة الهنية ، وهما يعملان معاً لنشر علم الفضيلة فوق ربوع الوطن ، فتعليم البنات واجباتهن

فى حدود ما قرره الدين ، ووفق ما حددته الشريعة من أقدم الواجبات .

٣١ — لا يصح أن يهمل أمر المرأة فتترك تتخبط فى دياجير الجهل وظلمات الغباوة . بل يجب أن يعنى بأمرها . فلا يترك تكييفها وفقاً لرغبات الرجل وشهواته . بل ينبغى تقوية صحتها وعافيتها ، أولاً إن كانت ضعيفة ، وتدريبها على الأدب الصحيح . وفى قوة الايمان ، وخشية الله ومخافته من غضبه وعقابه . أكبر وازع ، فالمرأة المتدينة عليها مدار إصلاح الأسرة . تنشر بين أولادها تعاليم الدين ، وتحرضهم على التقوى والاستقامة ، فخير الهدى كتاب الله ، وأحسن الارشاد سنة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وما أجمل أسرة سراجها حسن اليقين . لأن من وراء ذلك نموها على المبادئ القويمة الصحيحة ، فتشرب على التقوى ، والاعتزاز بالنفس ، والشمم والعفة والطهارة والكرامة .

٣٢ — لا يتم ائتلاف الطبقات الاجتماعية ، وانتشار الطمأنينة والسلام فى ربوع العالم ، ولا ينجم الهدوء والسكون على أرجائه إلا بالتعليم ومحاربة الجهل فيجب تعليم كل الطبقات الخاصة والعامة ، كل فريق بما يتناسب مع أوساطه وبيئاته . وهكذا تعليم النشء ليعلم كل ما هو مفروض عليه ، وما يجب عمله ، والوقوف عند حده ، مما كلف به ، فلا يصح الاقتصار على تعليم أبناء الأغنياء وإهمال الفقراء ، بل من حق الفقير على الغنى : أن يشاركه فى خيراته ومبراته ، وخير البر والمعروف : تعليم الفتيات حتى يهيئن المستقبل الحسن ، ويعددن للطوارئ عدتها ، ورحم الله شاعر مصر المرحوم حافظ إبراهيم إذ يقول :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طاهر الأعراق

فتعليم الفتيات من أوجب الفروض لانتشار الطمأنينة والسلام مع مراعاة
عدم الخروج عن أوامر الدين . أو الطمأنينة والتطرف

٣٣ + يولد الفتى فيسمى باسم أبيه ، ويموت على هذه التسمية ، ولكن
الفتاة تولد فتحمل اسم أبيها وتزوج فتضم إلى أسرة زوجها ، وتترمل فتنسب
إلى أولادها ، وإن لم يكن لها ولد فهي أرملة فلان ، وهكذا رباط الزوجية ،
يدوم مع المرأة ، وما وجدت باسمها فقط . فهي إما ابنة فلان أو زوج فلان
أو أم فلان ، أو أرملة فلان ، أو من عائلة كذا . فهي ابنة المجموع الانساني .
(ليس للمرأة أن تطلب مساواتها بالرجل ، وقد فصلنا الفوارق بينهما
وأوضحناها ، وقد اختص الله كلا منهما بمميزات عن الآخر ، ومنها ماله أثر
ظاهر في طبيعة التكوين ، وليس من صالح المرأة مزاحمة الرجل في ميزاته ،
كما لا يقوى الرجل على مزاحمة المرأة فيما خلقت له ، ولم تؤهله طبيعة تركيبه
لذلك كما أنها بمزاحمتها له تفقد عطفه ومحبه وحنانه ، فلا تطالب بمساواتها به
مهما بلغت من الثقافة والتربية والتعليم . ولا تنسى ماقدره مدبر الكائنات
لحفظ كيان العالم . فجعل منها الأم التي تكون العائلة والأسرة . بعد أن تكون
زوجة تنوء بأحمال الأمومة في الحمل والوضع والنفاس والرضاعة ومساواها
مما يضعف قواها ، ويوقف حركتها ، ويحرم عليها العمل . فلا تستطيع
حراكا . فتضطر إلى من يعولها ويتولى شئونها ، وتدبر مقومات حياتها ، ويعد
لها حاجاتها ، على عكس الرجل ، فعليها أن تقنع بما أراد الله لها .

٣٥ — النزول على إرادة الله وما حسنته الطبيعة هو أساس الاجماع ،
وهو العدل ، وكل ما قضت به الطبيعة البشرية ، وما جرى عليه العرف والمألوف ،

هو الانصاف ، وليس من حق المرأة الخروج على مقتضى الطبيعة البشرية ، وخير لها وقد عرفت مالها وما عليها أن تحترم تلك المقتضيات وما كان من نواديس توالت عليها الأيام والأعوام والدهور .

أما الفتى وهو يعلم أنه بالسعى إلى الزواج يعمل على ولوج حياة جديدة « يستكمل العضو الذى أنقصه الله منه بخلق زوجته ورده إليه » فواجبه أن يمهّد السبيل ، ويعد كل الوسائل التى توصله إلى غايته بالنجاح والتوفيق ، ويقدر النتائج ، ويعتقد أنه وإن كان مطلق الحرية فى الاختيار ، لكنه مرتبط بأمور لا بد له من القيام بها . وأولها أن يحارب طموح نفسه وجموحها فلا يسترسل فى اعتقاده أنه سيكون الحاكم المطاع ، والأمر الناهى . يتحكم ويتصرف كما يهوى « وأنه لا بد واصل إلى أغراضه ومقاصده لقوامته على زوجته » وأولى له أن يقدر أن زوجته ستكون شريكته فى سرائه وضرائه وشقائه ونعمائه ، وأنها قضت شطراً من عمرها بين أحضان والديها . كالزهرة فى أكامها . لا يتمتع بطيب رائحتها ، ولا يتلذذ بجميل هيئتها ، إلا من اقتطفها فان ثابر على مولاتها بالرى ، ورعايتها بالعناية ، طال عمرها ، ودامت حياتها ، يانعة جميلة ، وعليه أن يسايرها بما يجب أن يسير معها عليه ، ويسيرها على ما تطيعه فيه وتعمل معه على إرضائه ، ولا يبيح لها اليوم ما سيحرمه عليها فى الغد بل يعودها على طباعه وخصاله ، ويجهر لها بما يرضيه وما يغضبه .

يجب على الزوج أن يوحد لغته مع زوجته فلا يكلمها إلا بلغة الاخلاص والمحبة والوفاء والصراحة ، يثب إليها لو اعج حبه ، ولا يضمّر لها غير ما يظهر يشكو إليها آلامه ، ويصرح لها بآماله ، ويدبر أوقاته كلها للجد والنافع ،

ويحتفظ لها بكل أوقات فراغه ، ولا يشرك معها أحداً إلا من يرتبط معه
برابطة عائلية أو مصلحة تعود عليهما بنفع أو خير . ومادامت لم ترزق بأولاد
فهى شريكته الوحيدة ، وواجهه أن يصارحها بحقيقة حاله فلا يدعى الغنى
والثروة وهو لا يملك إلا كفافه ، وهو خير له من أن يخذعها فتورطه فيما
لا يقدر عليه ثم ينكشف أمره إذا أبطأ أو يتحایل بالاستدانة ليغضى موقفه
وهناك الطامة الكبرى ، وخير لها أن يعيشا على قدر طاقتيه بعيدين عن
هوان الدين ومذلة المطالبة من أن يزج بهما الاسراف إلى ما لا تحمد عاقبته .
يجب على الزوج أن لا يسمح لزوجته بالاسراف على عقيدة إرضائها
فى بدء حياتهما الزوجية ثم يمنعها فلا تستطيع التراجع ، فيتولد الخلاف
والشقاق بينهما ، ومما يهيئ لهما أسباب السعادة عدم كثرة الاختلاط والتزاور
مع كل الطبقات ، والأولى أن تتفرغ الزوجة لإدارة شؤون بيتها ، ثم تنصرف
إلى تربية أولادها ، ثم تصاحب زوجها إلى التزمه والتريض ، ولا يمنعها ذلك من
التزاور وقت فراغها لمن كانت فى طبقته وزوجها من مرتبة زوجها ، وقد
دلت التجارب على فساد اختلاط السيدات ، وأقل أضراره التنافس وحب
الظهور ، وماتدفع إليه الغيرة ، ومما يملأ الأسماع من الأحاديث وسير العائلات
وما هو معروف عن مجالس السيدات وما ينشر فيها ، ومن أهم واجبات الزوج
أن لا يتساهل فى تعارف زوجته بأصدقائه والمباهاة بها من جمال أو جاه
أو حسب ، خشية أن يستمر هذا التعارف فيؤدى إلى الاختلاط ثم إلى الرية
والشقاق ، وربما كانت العاقبة المحتومة الطلاق ، وقد علمتنا الأيام مافيه
مزدجر من ذلك ، وفى كل يوم آية تدل على فساد هذا التصرف وسوء ما ينجنيه

الزوج على زوجته من عدم مراعاة العادات والتقاليد والخروج عليها طفرة .
وللعادات أثرها مهما تغالى الناس ، فالأرض الصالحة لزراعة نوع من المحاصيل
لا تصلح لغيره إلا بعد الاختبار والاستعداد ، وهكذا شأن الناس لا يصح لهم
أن يهجرُوا عاداتهم دفعة واحدة . بل يجب عليهم أن يمهّدوا السبيل للتدرج
من حسن إلى أحسن . وليس حسناً اختلاط الجنسّين مهما بلغت درجة الثقافة
والتعليم لأن الطبع غلاب ، ويقينى أن الدين أكبر وازع . والمشرع العظيم
لم يترك شاردة ولا واردة إلا أحاط الناس بها ، وعلى الزوج وقد يشتري
لزوجته فى أول أيام عسرتها الاصباغ والألوان بيده لتتحلى بها ثم يتركها
وقتماً تطمئن إلى مغاضبته ورضاه ، وقد استرسلت وتمادت فيما لا يستسيغه
ويأباه فيريد إرجاعها وعشاً يحاول وتولد النفرة بينهما فعليه وحده المسؤولية
وخير له أن يكون حكيماً فى تصرفاته فلا يسمح لها اليوم بما يحجده محرماً
فى الغد ، وهذا شأنه فى إدارة بيتها يتركها فى أول الأمر تتدل وتهاون
فى واجباتها ، ويهيئ لها أسباب الإهمال بتراخيه وترك الأمور إلى الخدم
يتلاعبون بكل شيء حتى إذا ما أدرك حقيقة الأمر وما وصل إليه حاله من
الاسراف والتبذير لا يوجد من يدبر شؤونه أو يتعاون معه ، فلو أنه سار
السيرة الطبيعية وجعل الزوجة لإدارة البيت لما وصل حاله إلى ما يشكومنه ،
هذا إذا لم يشجعها على كثير من المضار . فقد يستحضر الزوج فى بيته أنواع
المسكرات والمشروبات تغالياً فى إكرام أصدقائه كي يعاقرونها وقت اللهو
وربما أجلس زوجته فتضطر إلى مجاراتهم ويدفعها حب الاستطلاع
إلى تذوقها ؛ وقد يسوقها الزوج إلى مجاراته بمفرده ، وقد يكون لها أولاد

« ٤ — الزواج فى الإسلام »

صغار يسارعون إلى تقليدهما فلا يمكن تقدير سوء العاقبة ، فالزوج الذى يسعى إلى الحياة الهنيئة الشريفة يجب أن يحوطها بكل دقة وتبصر ويجب أن يقدر كل ذلك ، ولا ننسى أن مما يدعم الحب الخالص بين الزوجين إنكار الذات فلا يتفرد واحد منهما بالتمتع ولا يجتهد الزوج فى الاناقة وحسن الملبس والظهور بين الناس ، ويترك زوجته دون الاهتمام بطعامها وملبسها ومسكنها بل عليه أن يقاسمها حظه فى هذه الحياة ، ويعمل على متاعها وترفيهها . كذلك يجب على الزوج أن لا يزج بزوجه فى المجتمعات العامة فى أوساط لا تتفق مع بيتها فتخلق بأخلاق أهل تلك الأوساط ، وبذلك يستطيع الزوج أن يستكمل لزوجه ما فيه نعيمها وهنائها بمسلكه القويم وباحترامه وأوامر الدين وبمعاملتها وفق نصوصه وشريعته فى أمن شر الخطأ والزلل .

وعلى الزوج أن يتمكن من دراسة حقوق زوجته عليه فلا يعتقد أنها أسيرة أو امره وتصرفاته فيتحكم فيها ويكلفها بما ليس فى طاقتها . أو يطالبها بما لم يكن فى مقدورها ، بل عليه أن يضاعف ما يجب لها عليه من خير إن استطاع ، ولا يبخسها شيئاً ، كما أنه لا يفرط لها فى حقوقه ، ولا يجازف بالتهاون فى شيء منها .

والزوج العادل العاقل الرزين هو كل آمال الزوجة المحبة المخلصة الوفية ، ومتى وجدا كان الزواج هو النعيم المقيم ، وإن اختلفا كان الزواج هو الشقاء الدائم ومبعث الجحيم .

وبعد فهذه بحوثى وتجاربى وإن كنت أشعر أنها لا تقف من تحليل حالات المرأة والرجل عند هذا الحد ، وإن كنت أقدمها للقارىء الكريم

وأرجو معذرة وعفواً إذ أن الموضوع مترامى الاطراف . يستدعى مجلدات عديدة ، وأساس قصدي أن أترج من البحث والشرح إلى التنبيه والارشاد والدعوة للخير . فأتقادي الاطالة وما يؤدي إلى الملل . لا كسب الرغبة في النصيح ، والاستفادة والعمل به ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

غلاء المهور

والتبذير في نفقات الزواج

اطلعت على نداء أذاعته دائرة المعاهد الدينية بالمجلس الشرعي الاسلامي الأعلى بفلسطين فوجدته جامعاً لما يجب أن يقال في هذا الموضوع الهام فأثرت درجه ضمن كتابي هذا وقد وفي الموضوع حقه والله الموفق :—

« ان مسألة غلاء المهور والتبذير في نفقات الزواج والأعراس كان المجلس الاسلامي الأعلى قد تنبه لها مراراً وأصدر بشأنها بيانات ونداءات كان أثرها حسناً لدى كثير من العقلاء والفضلاء ، إلا أنه مع الأسف لا يزال الكثيرون من سواد الأمة مقعدين على تحمل وزر هذا المنكر ، ماضين في سبيله الخطر دون أن يفكروا في عواقبه الوخيمة ، وفيما يحنون على الأمة في أخلاقها وثروتها ونقص سوادها .

لذلك رأت هذه الدائرة أن توجه أنظار المسلمين إلى ما تقتضيه أحكام دينهم

الحنيف وقواعده من وجوب التساهل في المهور وعدم المغالاة في نفقات الأعراس ، وإلى ما تنتجه مخالفة الدين من الأضرار الفادحة .

إن ديننا القويم الذي يتمشى مع المصلحة ويسير العقل لا يتفق أصلاً مع غلاء المهور والافراط في النفقات لأن ذلك يقف حجر عثرة في سبيل الزواج الذي تضافرت نصوص الشرع على الحث عليه والترغيب فيه استكثاراً للنسل وتوفيراً للسعادة العائلية ، وإحكاماً لربط الناس بوشائج وثيقة وأسباب متينة من القربى والمصاهرة .

فمن المعقول بل من الضروري أن يكون الشرع الشريف قد مهد سبيل الزواج بوجوب التساهل في أسبابه والحث على تيسير أمده ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام « من يمن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها » .

وقد أيد الرسول عليه الصلاة والسلام قوله بالفعل فتزوج عائشة رضي الله عنها على متاع بيت قيمته خمسون درهما وهي لا تزيد كثيراً عن جنيه من عملتنا الدارجة ، وأولم على صفية رضي الله عنها بسويق وتمر . مما يدل على أن المهر ليس مقصوداً في الزواج بل ان الغاية من الزواج أسمى من أن تقابل بنقد وأشرف من أن تعرض لامتهان المساومة بمال هالك أو عرض فان . لذلك اتفقت كلمة الأئمة الأعلام على أن العقد يتم بدون ذكر المهر وحدد بعضهم أقل المهر بعشرة دراهم وبعضهم بأقل منها .

وكما أنه يجب التساهل في نفس المهر فكذلك هو بطريق الأولى واجب في حق النفقات التي تصرف في هذا السبيل من هدايا ومقتنيات وحلى وأمتعة وغير ذلك مما يجعل الزوج يرزح تحت أثقال الدين ويعود بالنهاية شؤماً

على المرأة كما قال عروة رضى الله عنه فتكدر حياتها وتحرم رغد العيش وعطف الزوج الذى سوف لا يرى فيها البركة ويمن الطالع .

وللناس أسوة حسنة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زوج فاطمة رضى الله عنها وهى من هى فى الشرف والرفعة ، فجعل نفقة زواجها وجهاز عرسها من أخف الأشياء وأيسرها ، قالت عائشة وأم سلمة «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجهز فاطمة حتى ندخلها على علي فعمدنا إلى البيت فقرشناه تراباً ليناً من أعراض البطحاء ثم حشونا مرفقتين ليفاً فنقشناه بأيدينا ثم أطعمنا تمرأ وزيبياً وسقينا ماء عذباً ، وعمدنا إلى عود ففرشناه فى جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويعلق عليه السقاء فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة» وقد كانت هذه حال المسلمين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وعملا بالشرع الشريف إلى أن استهوى النفوس التفاخر الممقوت وحب الظهور فاتخذ قوم الزواج مطية للشهرة الكاذبة فخرجوا به عن حكمته المقصودة من تشكيل الزوجين حياة مشتركة يتبادلان فيها التعاون على تربية النسل وتنشئته والقيام بأعباء الحياة وتخفيف عنائها . نعم خرجوا به عن حكمته بما ابتدعوا من الغلو فى المهور والتبذير فى النفقات فخالوا بين الزواج وبين الطالبين وأخرجوا موقف الراغبين ، حتى أصبح الزواج خطراً يتقى ووبالاً يجنب ، بسبب هذه التكاليف المرهقة التى لا تطاق .

وإذا كان التفاخر من قوم خرج بالزواج عن حكمته المقصودة فإن الطمع قد خرج بقوم آخرين عن الانسانية وتجاوز بهم حدها مشياً إلى الخلف حتى أسقطهم فى البهيمية المحترقة فعدوا يبيعون بناتهم بيع السوائم فمن دفع أكثر

كانت المرأة متاعه وأمتعته بل دابته . فلا أهلها ينظرون لسكفاء الرجل المعنوية ولا لمستقبل حياة بنتهم المظلمة ، ولا هو يرى في زوجته أكثر من مملوكة اشتراها بماله فله عليها حق الخدمة في البيت والمزرعة والسوق ، ولا الزوجة تنال مما سمي مهرأ لها — وما هو إلا ثمنها — شيئاً يصلح به من شأنها لأخواتها من بنات آدم لتبقى كالبيهمة من كل وجه غير أنها غالية الثمن بما يتجاوز مئآت من الجنهات يفقر بها زوجها ويغنى بها أبوها وهي بينهما في عذاب مضن من الرق والجوع وتغيص العيش وهي النتيجة المحتومة لهذا الزواج لدى زوج أُلجأه زواجه إلى بيع عقاراته وأملأه ودخلت بيته وهو فقير لا يستطيع ضمان سعادتها وتوفير حاجتها .

وهذا الذي وصفنا يجري في أكثر القرى ، ويجرى فيها ما هو شر من هذا ، وذلك أن الفتاة إذا خطبت ولم يكن لها أب وكان لها ملك يعضل أخوتها وأولوا أمرها عن زواجها حتى تتنازل لهم عن ملكها وإلا ظلت عانساً تقاسى مرارة العزوبة وسوء المعاملة .

١ وانغلاء في المهور بمقاصده ومفاسده حرام ضار يصرف الراغبين عن الزواج له الأثر السيئ في تقليل النسل وتكدير العيش وانتشار الفجور وتدهور الأخلاق والاستهداف لفتك العلل والأمراض ، وارتكاب الجرائم والجنايات مما يعتبر في نظر الشرع من أقوى أسباب تحريم المغالاة في المهور والنفقات ويؤكد إيجاب التيسير فيها عملاً بقاعدة جلب المصالح ودفع المضار هذا وإن استمرار الحال على ما هي عليه يؤول إلى تصدع كيان الأمة وانهايار بنائها وفساد حالها ، فيجب على أولياء أمور النساء اجتناب هذا المنكر

وعلى عقلاء الأمة وعلمائها والمسؤولين فيها أن يكونوا قدوة صالحة للامة
 في الرجوع إلى أصل الدين وأن يحاربوا ما استطاعوا هذه البدعة المنكرة وأن
 يحثوا الناس على اتباع سلفهم الصالح وأن يعلموهم أن الشرف والمجد ليس
 كالمتاع يشترى ويبيع ، وأن شرف الفتيات مرتبط بالآخلاق والآداب
 لا بغلاء المهور وبهجرة الثياب ، وأن حلى الفتاة خلق يزينها وتربية صحيحة
 تصونها ، وأن سعادتها في كفاء تجد بجانبه صفو الحياة وهناءها ، فلا غلاء
 المهور يحدد مجداً ولا التبذير في سبيل الشهرة يشرف أباً وجداً ، ولينظر
 المفتونون بالزخرف الزائل إلى زواج عائشة أم المؤمنين وفاطمة البتول
 بضعة الرسول ، وإلى سير الزواج في عهد النبي الأمين وأصحابه الميامين فلم
 في ذلك خير قدوة وأفضل أسوة ، لا يحيد عنها إلا من استهان بالدين ، واستخف
 بخير المسالين ، وغلبه هواه ، وباع آخرته بدنياه ، وذلك هو الخسران المبين .

تَعْدُدُ الزَّوْجَاتِ

١ لم يكن الاسلام أول من شرع تعدد الزوجات ، وقد أثبتنا أن شريعة
 سيدنا موسى أباحت من قبل وكان العرب يسرون عليه من غير تحديد ، وقد
 امتاز الاسلام بتحديد العدد ، وتقييده بشروط تجعله في دائرة ضيقة .
 والحكمة في التعدد أمور شتى في مجموعها نشر الفضائل وكثرة النسل ،
 ومنع المنكر والفحشاء .

أولاً : بعث النبي محمد عليه الصلاة والسلام بين العرب وهو رسول رب العالمين للناس كافة ، وكان العرب قبائل مشتتة متفرقة ، وفرقا مبعثرة ، والدعوة لنشر الدين تستوجب العدد والكثرة فكان القصد إلى زيادة النسل أدعى الأمور للتفكير ، وليس القصد من التعدد قضاء شهوة أولدة .

ثانياً : الرجال معرضون للموت أكثر من النساء بسبب الحروب والمجهودات المضنية ، وتعرضهم للهجير والشمس المحرقة والبرد القارص ، وقد ثبت من تعداد الأنفس في الأمم أنهم أقل عدداً من النساء ، فاذا اختص كل رجل بامرأة . لعنت كثيرات من النساء وحرمن ممن يكفلهن أو يعولهن أو يقوم بحاجياتهن فضلاً عن حرمانهن من متاع الدنيا ومنه البنون « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » فتصبح النساء عالات على الناس . فيكثر البغى في الأرض والفساد والاعتداء على العرض .

ثالثاً : إذا انقرض الرجال من جراء الحروب والجهود والأعباء الشديدة التي يقومون بها ، وبقيت النساء من غير أزواج تسلط عليهن الفناء ، وانهدمت الأمة وعفى أثرها كأن لم تغن بالأمس .

رابعاً : لا يؤمن شر الرجال واعتداؤهم على الأعراض . إذا اختلفوا مع أزواجهم . أو أصابهم المرض فحرم عليهم الاتصال بهن ، وقد وجدت الباءة ولها أثرها المحرض على ارتكاب المعصية لقضاء الشهوة واللذة . فتعدد الزوجات لا يقصد منه إلا الشرف والشمم والعفة وحفظ الباءة . (

وقدر أي العزيز الحكيم وهو لا يظلم الناس شيئاً أن يبسط لهم رواق رحمته فأباح لهم التعدد وقيده بقيود شديدة تدريباً لهم على الطاعة ، وضبط النفس ،

وحسن التصرف ، وعدم الظلم . فمن ملك ذلك فقد تمتع بالاباحة ، ومن لم يملك فقد حرم منها . ولهذا يقول أحكم الحاكمين :

« وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي آيَاتِنَا . فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ »

وقد حدد بعد الاباحة شرطها وهو العدل بين الأزواج ، وعدم المفاضلة وتوزيع حسن المعاملة بينهم . بالعدل والقسط ، والمساواة التي تجب أن يكون من ورائها مرضاة الله . حتى يخاف عقابه ، وشدة انتقامه ممن لا يعدل وفق أمره الكريم جل شأنه . فمن استطاع ذلك فقد فاز برضا الله وتمتع بالاباحة ، ومن لم يستطع فقد حرم منها ، وواجب عليه أن يخاف عقاب الله . وإن العليم الخبير قدر في أزلته عدم اعتصام الانسان من الزلل ، وعرف أنه لا يستطيع العدل أو عدم المفاضلة بين أزواجه فقال :

« وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ . فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمِطْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا »

وفي هذه الآية الكريمة الإشارة الواضحة إلى عدم الاستطاعة ، مهما حرص الانسان ، لأن قوام المعاملة في هذه الناحية هو العاطفة والميل « وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ عَجُولًا »

لذلك يكون التصريح بالتعدد أمام هذا القيد الوثيق لكل حالة يسود فيها سلطان العقل وهذا غير مأمون دوامه . فوق أن الخروج عنه معصية لله ومجلبة لغضبه وشديد عقابه ، لأن الله يقول وهو أصدق القائلين :

«وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ»

إنذار صريح لامواربة فيه . أى إن من لم يتق الله ويخش عقابه ، ويخف غضبه ، بعدم اتباع أوامره اتى قضى بها ، وهى العدل والمساواة وعدم التفاضل بين الزوجات ، فقد تعدى حدود الله وحق عليه عقاب النار الخالد ، فوق ذلك العذاب المهين .

هذا هو ما قضى به الاسلام فى تعدد الزوجات ولا عبرة بعمل الجاهلاء الذين ليس لهم من الدين إلا الاسم ، وهم يجهلون تعاليمه وأوامره ، وقد وضع تمسك الاسلام بالمصلحة العامة ؛ والمحافظة على حقوق المرأة ، وصونها من تلاعب الأهواء والشهوات بها .

ويمكننا أن نتساءل : ماذا يكون حال رجل قوى البنية ، شديد الساعدين ، متين القوى ، سليم البدن ، كامل العافية ، وقد تزوج من فتاة فاجأها المراض واستعصى عليها الشفاء ، وطال عليها الأمد ، فأى الأمرين أنفع لها . . . والرجل على أتم استعداد للحياة الزوجية ، وإن اعتصم ، وهو إنسان بشر يأكل ويشرب . هل يصونها فى خدرها ، ويرعى زمامها ، ويقوم بعلاجها ، وقد تزوج بغيرها لى لا يحرم من نسله ؟ أو يسعى لطلاقها بسبب تلك العلة وفصلها عنه . . ؟ لابد أن العقل والمنطق يقضيان بالزواج لتبقى تحت رعايته وعطفه ، وإن كان لها منه ولد فهو يعيش بين سمعها وبصرها ، ويعنى بأمره . وقد صان لها الشرع حقوقها فى حياة زوجها وبعد مماته والله سبحانه

و تعالى يقول :

«لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ»

شرع الإسلام ذلك ، وقد أحاط المرأة بكل شفقة ورحمة ، وحافظ عليها فصور لها عاقبة التفريط وبين لها نتيجة الاستهتار ، وشدد لها العقوبة صوناً لعرضاها ، ومحافضة على شرفها ، فان كثيراً من غير المسلمين وبالأخص في العالم الغربي المتمدين ، يتخذون الزواج وسيلة لمصاحبة غير واحدة مع التظاهر باحترام حقوق الزوجة ، وهويدوس تحت أقدامه أقدس حقوقها ، وهو الحب والوفاء والاخلاص . فيعاشر ويصاحب ويخادن تحت ستار المدنية الكاذبة ، وقد تنعكس الآية ، وتمثل الزوجة دورها ، ويتغاضى كلاهما عن سوءات الآخر ، ويغض نظره عنه ، وتكون أسوأ النتائج على النسب والشرف

ومن الأمور البارزة التي لا يختلف فيها اثنان : إباحة اختلاط الفتيان بالفتيات ، باسم الخطوبة والاختبار ، وذلك ما يتفاخر به الكثيرون ويرون أنه المدنية ، وأنه من ضروريات الزواج ، وأهم أسسه ، فيباح اصطحاب الفتى للفتاة ، والنزه والفسحة ، وارتياح دور التمثيل والسينما . والسير معاً لدراسة الأخلاق ، ومعرفة الطبائع ، وقد يتغافل الوالدان ، ويسهلان الوسائل ، ويهيئان الأسباب ، ويتغاضيان عن كثير مما لا يرضى ويتجاهلان التصنع الكاذب ، وتكون نتيجة ذلك ، وعاقبته ما وقعنا فيه من التقليد الأعمى : الاستدراج ،

والوعد الخداعة الخلابة الكاذبة ، وكثيراً ما تسوء العاقبة بما يرتكبه الفقي ،
ويجنى على فريسته ؛ فينقلب عليها ، ويعرض عنها وتصبح التي كانت بالأمس
ملاكاً كريماً : شيطاناً رجياً ، وبعد أن كانت كل آماله نظرة منها أو لقاءها
يتبعد عنها ويهرب منها ويكيل لها اتهم والتشهير والسب والطعن بكل ما يملك
من قوة : بعد أن يلطخها ويسىء إلى سمعتها بجميع ما يستوجب العار والفضيحة
لكن الشرع الاسلامي وهو يحرم النظر إلى المرأة بعين غير بريئة ، كما
حرم الاختلاط أو المعاشرة بغير رباط الزوجية ، فقد سهر بذلك على حقوق
المرأة وحافظ عليها وأحاطها بسياج الكرامة ، والله جل وعلا يقول :

« وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ،
فَانْكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ ، وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، مُحْصَنَاتٌ ، غَيْرُ
مُسَافِحَاتٍ ، وَلَا مَتَخِذَاتٍ أَخْدَانٍ . فَإِذَا أَحْصَنْتِ فَانِ اتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ
مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ . ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ
لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ »

(ولم يقف بصون حقوق المرأة عند هذا الحد . بل اختصها بالقصاص لها
من كل معتد عليها بأشد العقوبات ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ

جَلَدَةً . وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ، فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ؛ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ .

فهل لأهل العقول الناضجة، والبصائر البريئة، أن يقدرُوا موقف المرأة في هذا التشريع ، وقد منحها الخدر والعفاف ، ومكنها من الدفاع عن نفسها ، ففافت عن الرجل بالرحمة والشفقة ، وهذا تشريع ظاهر لا لبس فيه ولا إبهام ، كله المحافظة على الحقوق وتطهير المجتمع الانساني من أدران الشرور والمفاسد والانصراف المطلق إلى الحياة الزوجية الشريفة، حتى يأتى النسل الطاهر، وتتكون العائلة القوية الحسب والنسب ، فتتألف الأمة من النفوس الشريفة ، وتسمو مكاتنها بالفضائل ، ولا يتم ذلك إلا بالزواج المشروع .

أبعد هذا يكون الزواج الشرعى ، أفضل أم المصاحبة غير المشروعة ، والاختلاط الاباحى غير الجائز ؟ وهل إباحة السفاح الآثم وما يجنيه على الانسانية من شرور وأذى ، وضياع الأحساب والأنساب خير أم تعدد الزوجات مع تلك القيود الشديدة القاسية ؟ وهل ينسى المغرضون المكابرون أن تلك الحياة الفاسدة . حياة المعاصى والكبائر قد تجمع بين أخ وأخت من

سفاح . أو والد وابنته وهما لا يدريان ، أذلك خير ؟ أم وضع تشريع سماوى سنه خالق الأكوان ، وعلام الغيوب ، الذى يعلم ما يكون وما قد كان ، يصون الأعراس ، ويمنع المفاسد . قسمو الفضيلة ، وتعم العفة والطهارة ؟ وهذا حكمه فى تدعيم حياة الفضيلة ، فقد شدد العقوبة على المنحرفين عنها وجاء أمر الله العزيز الحكيم :

« الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . وَلِيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ، الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ » .

| فوضع هذه العقوبة الشديدة ، وهذا الحكم القاسى القاتل ، لمرتكبى الزنا ، وجعل نهايتهم العذاب والموت ، لا كبر دليل على يقظة الاسلام ودقة تشريعه ، وأظهر برهان على أن الزواج ليس الغرض منه قضاء الشهوة واللذة بل الغرض الاسمى هو التناسل ، وحفظ الانساب وصون الأعراس . وإذا كانت بعض الشرائع حرمت تعدد الزوجات ، وأطلقت سهام النقد على الاسلام بسببه فقد أغضت أممها الأعين عما يجرى من المفاسد والشور والآثام بما يزيد عن التعدد فى مدى واسع الاباحة ، وفى كل مناسبة سواء بالمصاحبة المستمرة ، أو المعاشرة الوقتية ، أو المخادنة ، وكلها فى جميعها نوع من الزواج العمل بغير خضوع للشرائع والتزام لحدودها ، وبغير مسئولية عن النتائج السيئة وأضرها المخادنة ، فقد يخادن الرجل المرأة ويعاشرها معاشرة

الأزواج ، ويقضيان الحياة الزوجية بغير رباط شرعى ، وفى جو الغواية
والأساليب الشيطانية ، حتى إذا ماتنا سلا ، وزهد الرجل ؛ ورغب عن
المعاشرة ، تنصل عن الاعتراف بالزوجية ، وبينوة الأولاد ، وأنكر صلتهم
بالأم ، وحرم عليها أى حق لها ولأولادها ، وهجرهم جميعاً . وألقى بهم
فى الطرقات والأزقة ، وقد ينتهى الأمر إلى القضاء ، فيظهر الخفى ، وينكشف
المستور . وبعد الفضيحة والعار ، وإذاعة الأمر بين الناس ، ربما يحكم
بصحة البنوة ولو أنها كانت من سفاح .

أهذا كله خير أم شرع الاسلام ؟؟ وهو آخر الأديان السماوية ، وقد
وضع نظام الحياة الزوجية ، وقد حرم الزنا ، والخنا ، واللواط ، داعياً للهمة
والنخوة والشهامة والمروءة ، وحامياً للانسانية من الانقراض ، عاملاً على
كثرة النسل لاهياء الأمم والشعوب والقبائل ، كل ذلك مما يعلى شأن
الانسان ، ويحفظ قدره من الانحطاط إلى البهيمية ، ويرفعه من السقوط
فى غوغاء الهمجية .

اللهم إنه الحق وأنت أحكم الحاكمين . فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها ، والانسانية المعذبة تجأ إلى الله مما نكبت به
من عبث العابثين ، وها أنا ذا قد أوضحت أسباب تعدد الزوجات وحكمته ،
وبينت شروطه وقيوده ، وهى ظاهرة فى الآيتين ، فان تقول المكابرون بعد
فقد استوجبوا اللعنة وسوء العاقبة . وما جزاء المتعنت إلا الاعراض

«فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً» .

«وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ . فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ
فَتَذَرُوهُنَّ كَالْمُعْلَقَةِ» .

فالإباحة ليست مطلقة ، وقد شرعها الله لحل المشكلات ، والخروج
من مأزقها ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

الطــــــــلاق

(الطلاق : هو فصل المرأة عن الرجل وجعلها طليقة من قيود الزوجية
وليس الاسلام أول دين سن الطلاق فقد سنته شريعة سيدنا موسى عليه
الصلاة والسلام من قبل وسارت عليه العرب قبل ظهور الاسلام بينهم ،
ولم تبجحه الديانة المسيحية إلا بسبب أو عذرا لحاجة لنا بالتعرض له ولو فشى
الآن بين الغربيين وغيرهم من أهل أمريكا ، فإذا أنصف المعترضون على
الاسلام وراجعوا الحقائق لا اضطروا إلى الاعتراف بأن الاسلام أشد
الأديان محافظة على حقوق المرأة ، وأحرصهم في الدفاع عنها فقد شرع الطلاق
وصرح للرجال به ولكنه قيدهم بما حفظ للنساء حقوقهن ، وتبين
أن الطلاق لم يكن القصد منه التفريق بين الزوجين ، بل على الضد
لايجاد جو الوفاق والصفاء في الحياة الزوجية ، وأنه أمر يلوح به لمنع
الاختلاف ، ولا يباح تنفيذه إلا باحتياطات شديدة وقيود قاسية ، وكان نصيب
الرجل في تصرفاته وجوب التزام الروية ، والتبصر ، والصبر ، والحكمة ،

وعدم التسرع ، وكبح جماح النفس وضبطها ، وهذا حل لا يقدم الرجل على الارتفاع به الا وقد ضاق تفكيره ، وقلت حيلته ، وضل تدبيره . وفي وقت تتسع للمرأة دائرة واجباتها عليه ، وقد حرم على الرجل أن يعضلها أو يرهقها كما جاء في كتاب الله العزيز الحكيم :

« الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، فَالصَّالِحَاتُ قَاتِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ، وَاللَّاتِي خِفَافُونَ نُشُوزُهُنَّ ، فَعِظُوهُنَّ ، وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا » .

قضى الله بذلك كي يتدرج الرجل في إصلاح ذات بينه وبين زوجته إذا هي نشزت ؛ أو نفرت منه وعليه أن يحاسنها ويعظها برفق ولين وهوادة لعلها تهدأ وتثوب لرشدتها ، فاذا لم يفلح ذلك معها هجرها في مضجعها معتصما بالتقوى وخشية الله . لا يكايدها بالنظر إلى غيرها ؛ فان صلح حالها ورجعت عن عنادها فلا جناح عليها ويغفر لها ما كان منها ؛ وإن لم يثمر كل ذلك وأصرت على عنادها ولم تعتدل بالحسن والمعروف أُرهبها بالضرب الخفيف لتخويفها لا لا يذاتها وإهانتها ، فان أذعنت إليه وأطاعته وأحسننت عشرته فلا يعيرها بما كان بل يجب نسيانها كله تفادياً من الشقاق والخلاف والنزاع والتفريق ، وحباً في الوفاق والوئام ، والصفاء والتوفيق ، حتى إذا ضاعت عليه الحيل ، وضائق وسائل الاتفاق عمد إلى التحكيم والله جل وعلا يقول :

«وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا . فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ، إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا» .

يريد الله بذلك . تضيق دائرة الخلاف ، والوصول إلى حل يوفق بينهما ويجدد الألفة والمحبة ، حتى لا يقع التفريق ويتمزق شمل العائلة ، وحتى يعود إليها الصفاء والسلام ، وهذا كله دليل قوى على حكمة التشريع الاسلامي ، وأن الاسلام الذي يرميه خصومه باذلال المرأة واستعبادها بعيد كل البعد عن اقترائهم لأنها بعد ذلك كله تتمتع بكل حرية لا ينال الرجل قليلا منها .
ومن أوامر الله الحكيمة التي شرعها في الطلاق قوله :

«لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ . فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ، وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ، إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ ، إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ، وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» . وقال عظمت قدرته :—

«الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ، فَاِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ تَسْرِخِي بِإِحْسَانٍ ، وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا . إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ، فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ، تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا

تَعْتَدُوهَا ، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .

« فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ ، حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ . »

« فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا . إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ . »

« وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . »

/ فالغرض من هذا التشريع الحكيم العادل أن الرجل إذا قام وقت الخلاف بينه وزوجه بما ذكرنا ، واستعمل كل مافي وسعه وطاقته ولم يفلح فعليه أن يعالج نفسه بالصبر والأناة . فان تصالحا فان الله غفور رحيم .

وإن حم القضاء ، ونفذا الأمر ، ولم يبق في قوس الصبر منزع ، وقد عزمنا على الطلاق . فعلى الرجل ألا يسرف في تصرفه ، ويكبح جماح نفسه ، ويمسك قيادها ، فيجعل الطلاق علاجاً للمأزق الذي وجد فيه وضاعت عليه الحيل للخروج منه ، ولذا أشير أن يكون أقصاه مرتين لكي توجد الفرص اللازمة لاصلاح ذات البين والتوفيق ، ويتمكن الرجل من رد زوجته .

/ وهذا التشريع محاطاً بأمرين لا مفر من تنفيذهما . أولهما : مادي ، والثاني أدبي أخلاقي .

أما الأمر الأول : فقد قضى على الرجل أن لا يمس شيئاً مما أعطاه لزوجته من أثاث ورياش وحلى ومتاع .

والثاني : وقد فرض على الزوجة إظهار حقيقة أمرها إن كانت حاملاً أو غير حامل . حتى إذا كانت حاملاً يتدبر الزوجان في أمر مولودهما ، ومصير حياته بعد تفرقهما . فكسر حدهما ، ويثوبا إلى رشدكما ويتراجعا

ويتصالحان . وعلى الزوجة أن تفكر في رضاعه وفطامه وتربيته بعيداً عن والده إذ لا تستطيع إكراهه من تزوج بعد أبيه على قبول غير ولده في بيته ، وهو لا يرضى أن تشركه في عنايتها بأولاده ، والزوج يشعر أن الطلاق يفرق بينه وبين فلذة كبده ، ويعرضه للمذلة والهوان . فإذا ما قدر الزوجان كل ذلك سكنت تأثيرتهما وعادا إلى الصواب وتصالحا ، ولم يقف بهما التشريع عند ذلك بل كان أقصى ما يخوفهما به من نتائج التسرع وعدم كبح جماح النفس ، إذا تم الطلاق بلاتراجع أن حرم عليهما الصلح والعودة إلى الحياة الزوجية إلا إذا تزوجت بعد طلاقها منه بزواج آخر .

ولا يفوتني في هذا الموقف أن أشرح قصد الشارع من زواج الآخر لأنه كثيراً من المضللين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه يفسرون حسب أهوائهم ، والسذج والعامة يظنون أن القصد من زواج آخر هو الفصل بين المعاشرتين . كذبوا والله .

بل القصد أن يتم الزواج على نية صريحة بالمعاشرة وعلى غير قصد من كونه صورياً ينقضى لحل الاشكال بين الزوجين ، ولهذا يسمونه العوام « المحلل » .

فاذا لم تدم عشرة الزوجين وفصلت الزوجة ورغب زوجها الأول في إعادتها ، أبيع ذلك رغبة في جمع كيان العائلة وعناية الوالدين بأبنائهما .

فكان هذا الحل كالشبح الهائل المخيف . الذي يرهب الرجل الغيور على كرامته ويرعب شعوره . إذا تحقق أن تكون عاقبة تسرعه وطلاق زوجته تحريمها عليه ، وهي تستطيع أن تتزوج غيره وتدوم عسرتهم ،

فيملك نفسه ولا يضعها في هذا المأزق ، وكذلك حال الزوجة الشريفة فانها تموت فرقا إذا تصورت تلك الأحلام ، وأنها تصبح كل يوم في أحضان زوج جديد ، ومن ذلك كله تتحقق حكمة الطلاق وتعرف قيوده القاسية ، ولا عبرة بما يقوم به السفهاء من الرجال الذين لا يعرفون من الدين إلا اسمه ، ويتأكد أن الغاية منه حل الأشكال ووضع الأمور في نصابها بين الزوجين .

وهذا حكم الله جلّت قدرته :

«وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ، فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ، وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ، وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ، يَعِظُكُمْ بِهِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

«وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ، فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ . ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَمُ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » .

وكذلك يقول الله وهو أصدق القائلين : —

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِدَعَتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ، وَاتَّقُوا

اللَّهُ رَبُّكُمْ ، لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلَا تَخْرِجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ
وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ
يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا .

«فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ . فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ . أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ،
وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ ، وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَحْتَسِبُ . وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ . إِنَّ اللَّهَ بِالْأَعْمَارِ ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ
لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا .

«وَاللَّائِي يَنْسُنَ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ ، إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ .
وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ، وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا . ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ
سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا .

«أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ ، وَلَا تَتَضَارَوْهُنَّ لِتَضْيَقُوا
عَلَيْهِنَّ ، وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ ، فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ . فَإِنْ أَرْضَعْنَ
لَكُمْ ، فَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ، وَأَتَمِّرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ، وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فِستَرْضِعْ

لَهُ أُخْرَى ، لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ . وَمَن قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ، فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ
 اللَّهُ ، لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا .

كيف حال المرأة بعد ذلك ؟؟ فإن ادعى البعض غيرته عليها ، وصونه
 لحقوقها فقد أخفق في إقامة دليل بعد هذا التشريع السماوى الدقيق الواضح
 وبطلت حجة المدعين على الاسلام وأعمامهم الغرض عن حقيقته ، لأنه قد
 توسع في تحديد كل حقوق المرأة وأوجب معاملتها بما قرره من يوم ولادتها
 وفي شبابها وزواجها ، وخطبتها وحملها ورضاعها وفظامها إلى يوم موتها ،
 ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . ولم يستضعفها أمام الرجل . بل مع
 إقراره بقوامته عليها فهو ألزمه بأمور كثيرة كلها لصالحها ، وشدد في تنفيذها
 وأمره أن لا يتعدها

وقد أوردنا ما جاء بذلك في القرآن الكريم ، وهاك ما جاء به
 خاصاً بأولادها ومعاملتها بالنسبة لهم وغير ذلك . حيث يقول الله العلى القدير :
 «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ،
 وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ،
 لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ، وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ، وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ .

«فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا .

«وَإِنْ أَرَدْتُمُ أَنْ تَسْرِضُوا أَوْلَادَكُمْ ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمُ

بِالْمَعْرُوفِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .

«وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ ، وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا . يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ، فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ .»

«وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ ، أَوْ أَكْنُتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذَكَّرُوهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ، إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا .»

«وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ .»
«لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ ، أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ، وَتَعَوَّهْنَ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ ، وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرَهُ . مَا عَا بِالْمَعْرُوفِ . حَقًّا عَلَى الْحَسَنِينَ .»

«وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ، وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ، فَانْصِفْ مَا فَرَضْتُمْ ، إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ ، أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ . وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .»

«حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ، فَإِنْ

خَفِّمُوا فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ .
 «وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا ، وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ ، مَتَاعًا إِلَى
 الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ ، فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ
 مَعْرُوفٍ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ، وَلِلطَّلَاقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ .
 كَذَلِكَ يبين الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » .

بهذا أفسح الاسلام صدره للمرأة وخصها بكثير من عنايته ، فاحترم
 حقوقها ورعاها في جميع أدوار حياتها وجعلها بالشرف والعفة . لارغبة
 في الاستمتاع بها ، وقضاء اللذة والشهوة البهيمية . بل للارتفاع بها فيما خلقت
 من أجله ، وهو التناسل ، ولم يتركها هدفاً . بل كذلك رأينا أنه اهتم بها ،
 وهي زوج وأم ومرضع حتى في موت زوجها فقد شرع لها ما يبعدها عن
 الحاجة والفقر والعوز والفاقة ، وكما أن لها تلك الحقوق والمميزات فعليها
 واجبات حددها في سبيل صونها وطهارة عرضها ، وما كانت تصرفات
 الرجل معها إلا احتفاظاً بها ، وغيره عليها لاستعباداً ، ورحمة بها لاستبداداً
 ولعل بعد هذا أكون ساءكت طريقاً يهdy إلى الصواب والحق . ويصل
 إلى اليقين بحكمة التشريع الاسلامى في كل ما فرضه ، في الزواج ، وتعدد
 الزوجات ، والطلاق ، وقد توخيت سهولة التدليل ، وتحاشيت الاطالة ،
 وأسأل الله التوفيق .

«قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ
 وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ، وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ

وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» صدق الله العظيم .

وَأَجْبِئَاكَ اللَّهُ الْمُسْلِمَةَ

نحو مولودها

هذا المولود الذى وضعته أمه ، وضم اسمه إلى قائمة الأحياء ، وبدأ يتنسم الهوا ، فهو له شأن يذكر ، ولا يترك لتصرفات القدر ، ولا يفوت عليه أى شىء ينفعه ، ثم يؤسف له ويبكى عليه ، لأنه ودیعة استودعها الله أمه ، وهديّة منحها إياها ، وجوهره وهبها لها . إن أهملت صغرت قيمتها ، وإن هذبت وصقلت غلا ثمنها وعلا قدرها .

هذا الطفل الذى لا يدرك ماخبأه له القدر ، ولا يعرف ماشاء الله له ، ولا يدرك حاله ومآله ومصيره ، وهو فرد من جماعة ، ودرة فى عقد . لا بد يأخذ مقره ، ويصل إلى مكانه ، وسوف يزوج به فى ميدان المجتمع الانسانى وهو بحر لى متلاطم الأمواج ، غير محدود الشاطئ ، ولا معروف القرار . فلا يقذف به فى لجته ، ولا يترك للصدفة ، حتى يشب يافعاً ، ويعيش نافعاً ، ويحيا قوياً . عظيم القدر . كبير القيمة . ذلك إذا أدركت أمه قيمته . وقدرت مكانته . وصايت حياته ، وأوجدت منه مخلوقاً عظيماً ، وكونت من طفولته رجولة ، ومن صحته وعافيته شباباً وكهولة ، وأعدته للخير ، وأبعدته عن الشر .

وهيأت له أسباب النعمة والسعادة . نعمة الصحة الكاملة ، والعافية الدائمة ، وسعادة العلم والثقافة . تدربه على الهمة والمروءة ، وتمرنه على القوة والشجاعة والفروسية ، وتدفع به إلى الاقدام ، وتعلمه حسن التدبير وسداد الرأي ، وتمكنه من الذوق السليم ، وحلاوة المنطق . وتغذيه بالأدب الراجح ، وتدربه على حسن المعاشرة وجميل المعاملة .

لأن هذا الذى اندمج فى عالم الانسانية . إن أهمـل أمره يصبح عدو الانسانية ولاخير فى وجوده . يعمل للشر ، ويهدم أعمال الخير . كثير الضرر قليل النفع يكون كالشوكة فى الحلقوم ، والعقم فى الطعام . كل أعماله شرور وآثام . يستجلب سخط الناس . ويستوجب مقتهم ، ويستدعى سخريتهم . ويصبح كقطعة الزجاج تخدع الناس بيريقها ، وتجرحهم بحدھا . ثم يصبح عالة على غيره ، وكلا على سواه ، يفرق الجماعة ، ويذيع المنكر ، ويشيع الفحشاء ، ويدعو للنفرة والبغضاء ، ويبقى هدفاً للأقذار ، ونوعاً من الأقذار ، يذبل قبل أوانه ، ويدمر فى عنفوانه ويزدرى به بين أقرانه وإخوانه .

وإن عنى به ، وفاز باهتمام والديه ، وتأدب فأحسن تأديبه ، وتربى فأكملت تربيته ، وتعلم وكمل تعليمه ، وشب على الفضائل ، وتمكن من نفسه بالابتعاد عن الرذائل . ودرج بين الناس كان كقذعة الماس تأخذ بالألباب ، وتجذب إليها النفوس ، وتستلفت إليها الأنظار ، وتبهز الأبصار ، تستعمل للتجميل ، وتقنى للتحلية ، وهى غالية الثمن ، وعالية القدر . يتمنى الجميع الاقتراب منها ، والاستمتاع بمحاسنها ، كلما ذكر يذكر بالاعجاب ، ومتى كان هذا شأن الفتى فى تكيفه . فقد أصبح نافعاً يعمل للخير ، ويدفع الشر ،

ويذيع المكرمات ، ويعمل للحسنات ، ويكون مثالا حسناً يحتذى به ،
وتضرب الأمثال بمحاسنه .

فيأيتها الأم تلك الوديعة التي استودعك الله . أمانة في عنقك ، وهبة
من الله وهبها لك . فواجبك أن تسهرى عليها من لصوص الأخلاق ،
وتحذرى من أن تمتد إليها أيدي السوقه ومنتهكى الحرمات والآداب . حافظى
عليها محافظتك على روحك . فان إهمالك لها إهمال لحياتك تصبحين كالجثة
الهامدة لا حراك لها ولا حياة .

لا تتركى طفلك فى مهده ، ولا تكلى أموره لأحد غيرك . ولا تتركى
إلى سواك فى أى شأن من شؤونه وكرسى كل وقتك للناية بأمره ، ولا تجعلى
سهرك عليه عند مرضه !! بل تعودى اليقظة الدائمة . والسهر المستمر . حتى
ينمو نموه الطبيعى فلا تصل إليه الأمراض والأسقام . لأنه كالزهرة اليانعة
والغصن الرطب ، وأنت كالبلستانى الحذق ، إن أهمل غصنه اعوج ومال ،
وإن غنى بأمره شب على طوقه وإل الاعتدال ، وحاذرى أن يتصلب عوده .
فيصعب اعتداله . ويسهل كسره . فلا يمكن إصلاحه أوجبره .

أنت مدرسته الأولية ، ومنك دراسته وتعليمه وثقافته ، وكلما يلتقطه
فى صغره . سيلازمه حتى قبره . فاشغلى مخيلته بكل جميل وحسن . وسأيريه
وسالميه . واصبرى عليه ولا تتعجلية ؛ وفى طفولته حاسنيه ولا تخاشينه . خفى
عليه وقع هفواته ، واغفرى له زلاته وهناته ، وعوديه التوبة والاستغفار ،
واعذريه لأنه لا يستطيع الإفصاح عن رغباته ، ولا الإشارة إلى
أمانيه وطلباته .

أيتها الأم : ان تعاليم الاسلام قد وضعت الجنة تحت أقدامك .
وأجبرت ولدك على حبك واحترامك ، فادعى حبه لك بالاهتمام به ، وثبتى
احترامه لك بالعناية بشؤنه ، وقدرى طفولته وكهولته وشبابه ، وضعى
خطط معاملته وفق سنه . وطبق سنين عمره . وحافظى على تجلدك ومرانك
واحفظى خطواتك معه بحلمك وأمانك . واطهرى له رضاك عن الجميل من
أعماله . وابدلى له ما يشعره بحبك وحنانك ، فيشب متعوداً على مرضاتك .
مقتدياً بك فى عمل الجميل من حسناتك ، واحرصى على إبعاده عنك وقت
غضبك . ولا تجعله ينظر إلا لكل حسن وجميل منك .

افتحى عينيه لنور الصدق . وعوديه عليه . وأبعديه عن ظلام الكذب .
وأطفئ ناره عن ناظريه . اجعليه يشب على الصدق ، ولا ترغميه على تصنعه .
كارها للكذب فلا يتقنعه . حتى تكون كل أفكاره ناضجة . وحركاته
صريحة . وابدلى له النصيحة بكل هواة وسكون . لا تنهيه . ولا تضريه .
ولا تؤذيه . ولو تكررت غلطاته . وعظمت هناته . فان الأذى يدفعه إلى
التهور وعدم المبالاة ، والشدة تكرهه على تكرار ما فعل مع المغالاة .

انظرى إليه طفلاً فى مهده . ومراهقاً فى عمره . وشاباً فى شبابه ،
ولا تنتظرى منه ما لا يتفق مع عمره ، ولا تطالبى به بما ليس فى مقدوره . لا تظنين
أنه خلق كاملاً ، ولا تعتقدين أنه لكل ما تطالبين منه من غير تدريب عاملاً
فهو كقطعة المطاط ، لا يكمل شكلها ؛ ولا يحفظ كيانه إلا بمجهودك وقدرتك
فاما تصاحين فتصاحيه ، وإما تجهلين فتتلفيه . حاذرى أن تمتد إليه يد غير
يدك فلا تكلى أمره لغيرك ، ولا تركنى فى أداء واجباته لخدمك . واصرفى

كل وقتك لأولادك . فقد خلقت لهم . ووهبهم الله لك . فلا تأتمنى غيرك على جواهرك . ولا تفرطى فى أمانة ائتمنك الله عليها . واحذرى أن تفرطى فى اختلاط أبنائك بغيرهم ، ولو كانوا من أقاربهم وأهلهم . حاذرى من إهمال الخدم . فلا تملكين بعد تفريطك إلا الألم والندم .

الطفل كالزهرة . إن وجدت فى باقة متجانسة طيبة الرائحة . عبق عطرها وزكت رائحتها ، وإن تركت بين الحشائش امتصت أزاهيرها ، وذبلت وضاعت رائحتها ولا يمكن رد ما فقدت ، ويستحيل إعادتها إلى ما كانت عليه وربما ضاع منها كل شيء إلا أشواكها ، وبعد الابتهاج بها والانتعاش برائحتها ينفر منها ، ويحرم استعمالها ، وتنمو أشواكها فتدعى الأيدي وتجرح الأرجل .

إذا أدركت ذلك أيتها الأم الحنون ، فاتق الله فى ولدك . وثبتي فى قلبه حبه لك فى حياتك ومن بعدك ، وإياك أن تمثلى فى جميع أدوارك وأطوارك معه إلا الخير والنافع .

أيتها الأم الحنون . ليس حنانك فى الاشفاق عليه أحسن أو أخطأ . كلا . إن حنوك عليه بتدريسه إن أحسن وتقويمه إن أخطأ ، وتعليمه إن جهل ، وتدريبه إذا قصر ، وتعويده على الخير إذا أساء ، وتنمية شعوره على المعروف إذا أحسن . فلا تعبرى الاشفاق عليه وحده . بل كونى كلك عينا ساهرة ، ونفساً دائمة الحركة ، وكرسى حياتك له .

أيتها الأم : عودى ولدك على الالباء والشمم ، واغرسى عنده العظمة والأنفة وعدم التواكل وأفهميه أن كسرة خبز من كده . خير من أشهى

الطعام من عمل غيره ، لقنيه حب العمل والسعى وادفعيه إلى الجهاد الشريف في طلب العلم للعلم . عليه أن العلم أساسه معرفة الواجبات ، وأول الواجبات الايمان بالله ، وإطاعة أوامره ، والابتعاد عما نهاه ، واحترام كتاب الله العزيز الحكيم ، والايمان بالأنبياء المرسلين . عليه أن العلم للقوت يضيع إذا لم يكن القوت ، وإنما العلم ليتعلم الناس يبق مابقيت نفوس المتعلمين ، ويحفظ ذكر معلية مادامرا لهديه متبعين ، ولا يكون من وراء ذلك التقاعد عن السعى للرزق . بل يسعى والله لا يضيع أجر العاملين .

أيتها الأم عودى ولدك أن يعطى ولا يعطى ، وأن يتصدق ولا يتصدق عليه ، وأن ذل السؤال ، وإهانة الاستجداء أشر الأمراض وأفتك الأدوية لاشفاء له ، ولا دواء وهو علة العلل ، ومبدأ الخيبة والفشل ، واغرسى في نفس ولدك الاخلاص لنفسه وللناس ، والوفاء لكرامته والا-تفاظ بعزته وعظمته ، وليقاتل التواكل وليحارب الكسل وليعود نفسه على البسالة والهمة والشجاعة .

أيتها الأم : عودى ولدك أن يكون حليما في طبعه . كريما في معاملاته . قنوعا في رغباته . طموحا في آماله . سباقا للخير ، مقداما في المعروف ، كثير الأصدقاء ، قليل الأعداء ، اغرسى في قلبه البعد عن الحقد ، وفي نفسه محاربة الحسد ، وفي روحه كل دوافع الجد . وفي ميوله حب الخير للناس وعوديه أن يحب للناس ما يحب لنفسه

أيتها الأم : شخصى الفضيلة وانشرى علمها عليه ، وابعثي أنوارها دائما أمام عينيه ، وابعثي عطر شذاها في كل مكان يحل فيه ، وواقفي حياته على أن

يكون من أنصارها ، وأن يعمل دائماً لرفع لوائها ، ثم ذكره بنتائج الرذيلة
واذكرى أمامه كل حين عواقب شررها وضررها ، اذكرى أمامه دائماً
عواقب الأطهار الأخيار ومآل الأشرار الفجار ، وقارنى بينهما وتأنجهما
بما يجب إليه الخير ، ويدفعه عن الشر ، واملئ قلبه بالجود والكرم ، وعوديه
على السخاء وحسن الشيم ، وشجعيه على إكرام أهل الحسب ، واحترام أهل
النسب ، والابتعاد عن أصحاب النعم الزائفة ، والمراكن الزائلة ،
والمقامات المزيفة .

يشجعك على المضى فى واجبك الكتاب المبين ، وتنزيل العزيز الحكيم
فاجعليه من حفاظ القرآن ، ومن رجال التقوى والايمان ، وعليه سيرة
الرسول الأمين والنبي الكريم . له فيه صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة ،
والأسوة المستحسنة ، فهو الهادى إلى الصراط المستقيم ، والخلق القوى
المتين ، عليه تاريخ المختار ، وماقاساه فى سبيل دعوته من الأدوار والأطوار
وما لاقاه من أعدائه المشركين الكفار .

على ولدك التاريخ ، وهو مرآة الحوادث ، وكاتم أسرار الزمان ،
والشاهد العادل على ما كان من كل إنسان ، وتاريخ سيد الأنبياء وخاتم
المرسلين جامع للعير ، وشامل للحوادث . وملاّن بالأمثلة . فكم لاقى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى سبيل دعوته إلى الله من الشدائد والاضطهاد وكم قابله
أعداءه الكفار من المتاعب والأهوال ، وكم كان من ثباته وحلمه العظيم ، وكم
قام به عليه الصلاة والسلام من الصبر والخلق الكريم .

أيها الأم : اذكرى لولدك تاريخ ذلك المشرع الكبير ، وشرحى له

كيف دام ثباته أمام هجمات أعدائه المشركين ، وسدد الله خطواته في مقاتلة الوثنيين ، وقف أمامهم ولم يعبأ بما كان من جموعهم ، وما أعدوه من عديدهم أنكروا عليه حقه بينهم ، وعزوته فيهم ، وعشيرته المكرمة عليهم ، ولكنه بقوة إخلاصه ، وشدة عزماته ، وثبات يقينه ، ومثانة إيمانه ، صمد لهم ، وكان كالطود العظيم . لا يتملح ولا يتزعزع ، ولا يشكو ولا يتوجع . حتى تم له النصر المبين .

أيها الأم : لقنى ولدك أعمال هذا المصلح العظيم . الذى غير وجه الأرض ، ووضع أنظمة العمران . ودساتير الحياة ، وقلب العقائد ، وأسس القواعد الثابتة ، التى رفع بها منار الهدى ، وأنار القلوب بالآيمان بالله الواحد القهار ، وعمر النفوس باليقين بقدرة العزيز القادر الجبار . وجاء بالنور الذى بين يديه ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . كتاب من الله العزيز الحكيم . ففتح أبواب الحياة الطيبة للناس ، وسن الشرائع للمجتمع الإنسانى وطهر الأرض من الوثنية والأرجاس ، وبين أطيب العادات وأشرف المعاملات ، وكون خلقاً جديداً ، وأمة عاملة . بعد أن كانت جاحدة خاملة ، ودفع فيها روح الجهاد للحياة وبعد الممات ، وسدد خطواتها ، وشد عزماتها ، ودفعها دائماً إلى الأمام .

أيها الأم : إن خير المواعظ عظات الهدى ، ومن أهدى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أزكى من أعماله وأطهر من سيرته وحياته ، ومن أعلا من قدره ومقامه ، وفضله وإعلامه ، فلقنى ولدك أعماله وأفعاله ، وكل شيء يتعلق بحياته عليه الصلاة والسلام وسيرته العطرة فكل ذلك أكبر

ما يقوم به العظماء ، ويتمنى التوفيق للعمل به الملوك والأمراء ، وأكبر دستور تسير عليه الأمم والزعماء ، وأدق نظام يستتب به الأمن ، وأقوى حكم يستجلب اليسر والرخاء واليمن . هو الصراط المستقيم ، والطريق القويم ، والمنهاج القوى السليم .

أيها الأم : راجعى حياة الرسول الأمين ، وراجعى كيف كان حكيماً فى رأيه . متيناً فى تديره ، رؤوفاً فى أوامره . متعاوناً مع المؤمنين فى مشورته مواسياً لفقيهم ، مؤاسياً لمريضهم ، مجاملاً لمصائبهم محسناً لمحتاجهم . كريماً لعزيزهم ، حليماً على صغيرهم ، أميناً على أحوالهم ، على ولدك حذكته ودرايته التى أبداهها فى حروبه للكفار وغزواته لهم ، ومعاركه معهم ، ومواقفه أمامهم ، وهم جموع ، وهو وأنصاره قلة . وسيوف الأعداء بتارة ، وكانت كل قوته وقومه فى الايمان بالله والاعتماد على نصره المبين ، وكانت تلك القوى هى التى تمزق الأعداء شرمزق ، ويكتب له النصر المؤزر ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

على ولدك . أن الحياة جهاد ، وأن الانسان مهما طال به الأمل ، وطال الأجل ، لا بد إلى مبدئه يسير ، وإلى منبته من الأرض يصير ، خلق من التراب . « منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى » وأن الدنيا دار الممر ، وأن الآخرة دار المستقر ، فليدخر من عمره لمستقره ، وليحفظ لنفسه من الأثر الصالح من عمله فى دنياه إلى آخرته ، وليجعل من رسول الله أسوة حسنة ، فيسير على نهجه ، وليعمل على منواله ، وليقتف أثره ، وليعمل بأمره ، وينته عما نهاه .

على ولدك : أن يقتدى بالصحابة والأنصار والمهاجرين واقربى عليه
سيرهم وأخبارهم واذكرى له تاريخ الخلفاء الراشدين بعد رسول الله الأمين ،
ومن توالوا من بعدهم ، وادرسى لولدك سيرهم وأخبارهم ، واجعلى هذا التاريخ
العاطر ، وأعظم المفآخر . أولى من الحكايات والأحاديث (الحواديت)
والخرافات ، ما يعمر به قلبه ، ويشغل به فؤاده ، ويذكرى نار الحمية والشجاعة
فى نفسه . اذكرى له تاريخ أبى بكر الصديق وسخاءه وكرمه وجوده ومناصرته
للسول الأمين وما كان من شجاعته وإقدامه ومصاحبته للرسول الكريم
فى الغار .

على ولدك : سيرة الفاروق عمر بن الخطاب الذى نصر الله به جيوش
المسلمين وهزم المشركين حتى اشتهر بين قومه بسيف الاسلام البتار .
اذكرى لولدك : طهارة عثمان بن عفان وخدمته للاسلام بجمع القرآن
والمحافظة عليه ولم يرفع الرسول الأمين إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن جمع
القرآن وقرأه عليه ورتله بين يديه .

اذكرى لولدك علماً : كرم الله وجهه ابن عم الرسول وزوج فاطمة
البتول ومدينة العلم ورب السيف والقلم .

على ولدك : واقعة تبوك وما كان من خالد بن الوليد وجيوش المسلمين
وقد رفع الله علم الاسلام بجهادهم وجهودهم على روابى الشام والفرس والصين
وبلاد الأفغان ، وامتد رواقه إلى بلاد الرومان .

ثم عودى به إلى مصر وقد قدمها عمرو بن العاص ورفع راية الاسلام
على ربوعها ، وأسس دعائمه قائمة حتى على الفلاح إلى الآن .

عليه كل ذلك : وابعدى عنه «أبورجل مسلوخة» «البيع» «أبو خيشة»
ومزق كتب ألف ليلة وليلة ، والسندباد البحري ، واللص الشريف ،
ونوادر حافظ نجيب ، وحرى عليه كش كش بك ، والريحاني ، ولا تركيه
إلى تصاريق القدر .

عليه أن الدين ، والوطن ، ومعاملة الناس من أهم ما يجب احترامها .
وأداء واجباتها ، وتأدية ما يجب لها ، وهى فى مجموعها كل شئ . عليها مدار
العمران ، ونصرة الاوطان ، والتمتع بالرخاء ، والانتصار على الأعداء . منها
جمع الكلمة . وتوحيد الرأى ، وجمع الصفوف ، وانتصار الحق ، ونصرة
الضعيف ، وكسر حدة القوى ، وإيقاف المطامع ، والوصول إلى غاية الأمل ،
ومنها صلة الأرحام ، ومنع الخصام ، وتولد المحبة ، وإيجاد الألفة ، واتحاد
العناصر ، ووصل الأواصر . منها الطمأنينة والأمن وسيادة العدل ، ومنع
المظالم ، وإيتاء كل ذى حق حقه .

هذه الجواهر : أبهى الدرر فى تيجان الأمم . وأعلى الآلى على هامات
الرجال ، وأعظم الشرف على صدور الأبطال ، فجعلى ولدك بها وادخريها له
واعمل دائماً على وصوله إليها ، وحصوله عليها .

لا يتم لولدك الحصول على ذلك : إلا إذا شب عزيز النفس ، أبى القلب
مترفعاً عن السفاسف ، متعالياً عن الكبائر . بعيداً عن الصغائر ، عفا اللسان
طاهر الذيل ، نقى السريرة ، كريم الخلق . متواضعاً حلماً ، أميناً على
الأعراض ، بعيداً عن الأغراض . شجاعاً ، مقداماً ، عظيماً همماً .

عليك وحدك المسؤولية لانك قد قديك شاعر مصر طيب الله ثراه بقوله :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طاهر الأعراق
عوديه على الرجولة ، لا يظلم ولا يظلم ، ولا يعتدى ، ولا يقبل الاعتداء
عليه ، وأفهميه حقوقه كلها حتى لا يفرط فيها ، ولا يتساح في الاعتداء عليها
ولا يتجاوزها إلى حقوق الغير . يدفع الباطل بالحق ويدافع عن الحق بالصدق
لا تأخذه هوادة ، ولا يخشى المجاهرة بالحق أمام الكبير أو الصغير ، ولا يخاف
لومة لائم ، أو هيبه حاكم ، وليكن مرفوع الرأس ، طاهر الجبين . يعطى الحق
لمستحقه ويحترم الكبير لا عن ضعف ، ويوقر الصغير لا عن غاية ، وليتق الله
ويكون من الصالحين .

أيتها الأم : التاريخ أب العبر . وكما قلت ليس أمامك أعظم من تاريخ
نبينا الأمين ، ولهذا فقد وجب عليك أن تنتهزى فرصة مولد النبي صلى الله
عليه وسلم وقدمى إليه هديتك بالسيرة المطهرة ، وهى خير من الحلوى ، وما
تعودوه الناس ، ويدفعون بأبنائهم إلى المراقص ، والملاهى ، والسينما
ومواطن الأرجاس .

وها أنا عاوتك ، وساعدتك ، وذكرتك ، وأنت أول من يصغى ،
وأشعر أنى قتت بواجبى فقومى أنت بواجبك .

وليس هذا خاصاً بابنك الولد الذكر . بل هو لأبنائك من ذكر وأثى ،
وفئاتك أحق وأولى ، وقد تفشت الرذيلة ، وطغت على الفضيلة وانتزعت
الفتاة من خدرها ، وخفضت من قيمتها وحطت من قدرها ، فعليك أن ترجعى
إلى خديجة الكبرى ، وفاطمة الزهراء ، وعائشة أم المؤمنين ، والكثيرات
غيرهن من نساء المسلمين . فعلى فئاتك سيرهن وما كن عليه ، من أدب ،

ووقار ، وعفة ، وعزة نفس ، وعصمة ، وتحصن ، مع العلم الغزير ، وسعة
الاطلاع ، والشرف والأدب .

على فتاتك المحافظة على الشرف . وعزة النفس ، وأفهمها أن العفة
والشهم والحصانة تيجان الفتاة ؛ فان حافظت عليها عاشت مرفوعة الرأس .
وإن تهانوت في واحدة منها ، فقد سقطت سقوطاً لا قيامة بعده ، ويبقى أثره
إلى البنين والاحفاد . لا يمحي مهما كرت عليه الأعوام .

على فتاتك واجباتها لدينها ولوالديها ولاخوتها ولزوجها ولأولادها
وللناس أجمعين وهي أشد مسؤولية من الأبناء ، وإذا أدركت . أيتها الأم
أن هذا واجب عليك ، وأمانة في عنقك ، أعتقد أنه يكفي لان تتفرغى له ،
وتقوى به ، ولهذا بعد أن تؤدي واجبك يصلح الله حالك ، ولا تتركى
أولادك لتصاريف القدر .

أرجو الرجوع إلى تفسير الآيات
القرآنية الواردة بالكتاب وتفسير معاني
غريب الألفاظ بآخره

زَوَاجُ الرَّسُولِ الْأَمِينِ

سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

وَأَزْوَاجُهُ أَمْهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِنَ الرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ

مُقَدِّمَةٌ

موقف النبي صلى الله عليه وسلم
من أعدائه ومفترياتهم عليه

الحقد والحسد من شر الخصال ، وأضرها أثراً . فهما يدفعان إلى تدبير المكائد ، ونصب الشراك . لتلفيق التهم ، واختلاق الأكاذيب ، إشباعا لشهوة الانتقام ، وإطفاء لجذوة نيرانها التي تغلي في الصدور وهما يزجان بصاحبهما إلى ميدان التفكير والتدبير . لا بتكار أساليب الشر ، ودعايات السوء ، ونشر الأكاذيب ، وترتيب الأدلة والأسانيد : والتبجح في إقامة البراهين عليها ، وإحكام ما يدبر من مكائد ، وليس أضر من مكائد الحاسدين ، ولا سبيل إلى نزع الحقد من نفوس أصحابه . ولا إلى محو آثاره من صدورهم ، ولذا يقول الشاعر : —

كل العداوة قد ترجى إزالتها إلا عداوة من عاداك من حسد
هذا شأن أعداء الرسول محمد عليه الصلاة والسلام . فانهم قد وقفوا
حياتهم لبحث أعماله وتمحيص تصرفاته . ودرس أخلاقه وصفاته . وقتلوا
أعمارهم في التدقيق والتنقيب عما يمكن أن يؤخذ عليه فما استطاعوا . وضل
سعيهم . ولم يصلوا إلى شيء . ثم نكصوا على أعقابهم . وهم يظنون أنهم

بالغوا أغراضهم . أو يصلوا إلى مآربهم . أو تصح أحلامهم . فضاعت حيلهم وضاعت عليهم الأرض بما رحبت . وإذ ذاك فقد دفعهم مافى صدورهم . من حقد وحسد . وحفيظة وضغينة . إلى التلفيق والافتراء . وزجوا بأنفسهم حتى وقفوا عند موضوع زواجه عليه الصلاة والسلام وقد عمدوا إلى الاختلاق والتضليل والكذب على الحقائق والتاريخ . واجتهدوا فى ترويح مفترياتهم والله يشهد أنهم لكاذبون ، وذلك لأن نور الحق وهو من هدى الله يظهر الحق ويزهق الباطل ، ويفسد ما ينصب من شرك وأحاييل فيذرهما هشيما تذروه الرياح .

١ اختلق أعداء الاسلام على النبي الكريم : أنه رجل شهوة ولذة ، وقد جاء بدين يبيح لا تباعه وأنصاره الانغماس فيهما ، ويسمح لهم بزواج أى عدد من النساء وأفرغوا جعبتهم فى تلك المفستريات على غير هدى ، وقد عميت أبصارهم وضأت بصائرهم عما كان من جميل صنعه ، بعد انتصاراته فى حروبه وغزواته ، من زهد وقناعة ، ورغبة عن أعراض الدنيا الزائلة ، يوزع الأسلاب والغنائم على المجاهدين ويزهدها فيها وهو فقير ، ويتركها لهم معرضا عنها وهو فى حاجة إليها ، ولم يطلب مالا أو سلطانا ، ولم يعمل شيئا لنفسه . بل كان جل قصده وغاية أمله . الدعوة إلى الله الواحد الاحد ، وتطهير قومه من أرجاس الجاهلية ، ورفع مرتبتهم من الخضوع والتذلل لأصنام ينحتونها بأيديهم ، ويدعوهم إلى العزة والشمم والشرف وإباء النفس (وكان تعدد الأزواج بغير قيد أو تحديد عدد مباح عندهم شائعا بينهم قبل رسالته عليه الصلاة والسلام . فأسس بنيان الزواج على ما أسلفناه من القواعد .

عجز هؤلاء الماكرون عن الوصول إلى ترويض مكائدهم بعد أن تحققوا انهيار أسسها بقيام ذلك الرسول الأمين . بما أعز قدر الانسانية وحفظ قيمتها من دعوته الصادقة لله وللفضائل ، وقد كان حريصاً على كرامة أمته ، محسناً لقومه ، شفوفاً على ضعيفهم ، مواسياً لمريضهم ، باراً بهم ، ولم ينصرف في دعوته إلا إلى الروحانية القدسية ، وهى الدعوة إلى الله وحده معرضاً عن المادة وهو يراها عرضاً زائلاً ، وحطاماً فانياً .

رجع أعداؤه عليه الصلاة والسلام إلى صفاته الخاصة . فوجدوا فيه : الأمين المستقيم ، والشجاع الكريم ، والبر الرحيم ، والمحسن المتصدق ، والأليف الرؤف ، والهادى الرزين . تمسك بالفضيلة فعظمت قيمتها ، وحارب الرذيلة فلم يمسسه شيء منها حتى قبل رسالته . فقد كان شريف النفس طاهر الذيل . عف اللسان ، بعيداً عن أرجاس الجاهلية . كل ذلك لم يقنعهم ليهتدوا إلى الخير ، أو يرشدوهم للصواب ، لأن نار الحقد نائرة في صدورهم . فعموا ، وصموا . ثم عموا وصموا . ونفثوا سمومهم ، ونشروا أضاليلهم ، غير أن كلمة الله هى العليا . فقد نكست أعلامهم ، وطاشت سهامهم ، وضلت أحلامهم . لأن للحق أنصاراً ، يبطشون بالباطل ، ويهدمون الأضاليل . فقد حفظ التاريخ ما لا ريب فى صحته من تصرفات ذلك النبى وما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن فيما جاء به وعمله إلا مبلغاً ومنفذاً لأوامر ربه . وأنه قام بما أرسل به . وأدى الأمانة ، وأوفى بعهده لمولاه

ولم يأت بشيء من عنده . بل كانت تصرفاته خضوعاً لربه وتضحية

لنفسه إرضاء لله جل وعلا

موقف النبي بين قومه وأَسباب زواجه

خاطب الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقال : -

« قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ، وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ . إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَى ، وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ » .

وقال تعالى شأنه : -

« وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَيْهِ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ . وَهُوَ بِالْأُفُقِ
الْأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ
مَا أَوْحَىٰ . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ » .

لقد تحدى القرآن كل من يتصدى لصحة تنزيله ، فطأطأ أعداؤه رؤسهم
وما استطاعوا إنكاراً ، وهذه آيات الله صريحة بما أمر الله به رسوله ، وما
قضى عليه بتنفيذ أمره ، وما شهد له به من أن كل ذلك من عند ربه .

وكل من تقصى سيرة الرسول ، وإن لم يكن من أتباعه وأنصاره . يعتقد
أنه لم يكن له صلى الله عليه وسلم شأن خاص . فقد حملته أمه ، ومات أبوه قبل
وضعه ، ووضعته أمه وماتت قبل إتمام رضاعه وفطامه ، وكفله جده
عبدالمطلب . وكانت له عنده منزلة خاصة . لا تفرقه عن أولاده وفلذات كبده

وكان عبد المطلب : عظيم القدر ، كبير الشأن ، على المكانة في قومه . محترماً فيهم ، محبوباً عندهم ، ولأولاده مكاتمتهم بينهم ، فلما شب الرسول وترعرع خففت رعاية جده وعنايته به عنه عليه الصلاة والسلام لوعة الحرمان من والديه . وقضى الله ولا راد لقضائه أن يموت جده ، ولما يكتمل الثامنة من عمره وكانت هذه النكبة مما أظهر صبر الرسول وجلده وجعله موضع إعجاب قريش وأحاديثهم . وقد كفله عمه أبو طالب ، وهو رقيق الحال ، كثير العيال . لم تكن له مكانة عبد المطلب في الثروة والمال ، ومع ذلك فقد قرب ابن أخيه منه وآواه إليه وأنزله من قلبه منزلة أولاده لما كان يبدو منه من ذكاء ، وعلو نفس ، وهدوء ، وسكينة ، وأدب ، وعفة ، وشتم ، ونجابة ،

ولما أراد عبد المطلب الخروج إلى الشام في تجارة له ، ولم يبلغ ابن أخيه الثانية عشرة من عمره اصطاحبه معه . فبدت له منه أثناء الرحلة علامات المروءة والهمة . والشهامة ، والكرامة وعرف عنه الجد والسكد والعمل والنشاط . وما اكتمل سن الشباب حتى بدت فيه علامات الرجولة والكمال ، وقد عرف عنه عليه الصلاة والسلام . أنه كان جميل الخلقة ، قوى الساعدين . صحيح البدن ، معتدل القامة ، كامل العافية ، شديد القوى ، وهو من أعظم قبائل العرب حسباً (قريش) وأكرمهم نسباً ، وأعزهم جاهاً ، وقد اشتهر بالأمانة ، والاستقامة ، وبعده عن النقائص ، وطيش الشباب .

وكانت السيدة خديجة بنت خويلد من كبيرات نساء قريش جاهاً ومالاً وحسباً ومجداً ، وقد تزوجت برجلين من عشيرتها ورغبت عن كليهما لطمعهما في مالها إذ كانت تبعث بأموالها في تجارة إلى الشام مع كل منهما .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد تجاوز الثالثة والعشرين من عمره وعرف عمه عبد المطلب أن خديجة في حاجة إلى من ترسله في تجارتها فودع مكاشفة ابن أخيه ليعلم رغبته في القيام بتلك المهمة فأطاعه ، وقبل رأيه ، فأبلغ عبد المطلب ذلك إلى خديجة التي رحبت بالرسول الأمين ، وبعثت به مع خادم لها اسمه ميسرة إلى الشام . وخرجت القافلة إلى طريقها في البيداء حتى إذا ما وصلت إلى الشام ، واختلط الرسول برجال التجارة والأعمال ، نال من قلوبهم منزلة ووجت تجارة خديجة ، وضاعفت أثمانها ، فزاد ربحها ، وتمكن من الاتجار بأموالها في سلع أكثر رواجاً وأعظم ربحاً ، وعاد بقافلته إليها ، وميسرة يقص على مولاته عجائب مشاهدته من إخلاص وجهود ووفاء ، فاكسب قلبها ونال حبها ، واشتد إليه ميلها ، وأصبحت تمنى زواجها منه وقد حقق الله آمالها ، فخطبته لنفسها ، وكافأها الله تعالى ببلوغ أمنيته .

كانت السيدة خديجة في الأربعين من عمرها ، والرسول فيما يقرب من الخامسة والعشرين سنة . فهو قتي في ريعان صباه وعنفوان شبابه ، وهو رجل جميل الخلقة ، طلق الحياء ، وهى سيدة لم تبلغ من جمال الخلقة ما يجب أن تكون عليه بالنسبة لجماله . إذ كان يفوقها جمالا ، ولكنه كان مالهماً بأمر ربه . فقد نظر إلى مكاتها من قومها ، وموقفها في عشيرتها . وطهرها وعقها

فتزوجها وعاش معها إلى أن بعثه الله نبيا ، وأرسله هاديا ومبشرا ونذيرا فكانت أول من أسلم من النساء والرجال ، فصدقته وعزرتة ونصرتة ، وكان لهذا أثره العظيم في قومها . لما لها من علو المكانة ، وكبير التقدير عندهم . فأسلم الكثيرون ، واستمرت تعاونه وتعضده ، وعاشت معه عليه الصلاة

والسلام إلى أن بلغت الخامسة والستين من عمرها . وتوفيت بعد أن عاشت ثمانية وخمسين عاماً لم يتزوج من غيرها ، وتعدد الزوجات كان مشروعاً بين العرب .

وكانت خديجة رضوان الله عليها من خيرة الأزواج ، وقد رزق بكل أولاده منها ما عدا إبراهيم فإنه من مارية القبطية التي أهداها إليه المقوقس . أما أولادها الذكور منهم : القاسم ، والطاهر ، والطيب ، ومن البنات : زينب ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

ومن آيات الله وحكمه : أن رفع إليه الأولاد الذكور قبل مات الرسول . وكان العرب يقيمون وزناً لمن يرزقون به من صبيان . فلما قضى الله أمره . ومات أولادهما قابله الوالدان بالصبر والرضى .

أما ما كان من عادات العرب من وأد البنات . فقد هدم الرسول هذا (التصرف الشائن) وزوج كبرى بناته زينبا إلى العاصي بن الربيع بن عبد شمس . وكان لعمه ولدان : عتبة ، وعتيبة . فزوجهما من ابنتيه : رقية ، وأم كلثوم . ثم ماتت خديجة ولم تعقب بعد . وعاشت فاطمة فتزوجت من علي بن أبي طالب ابن عم أبيها ، وهى الوحيدة من ذرية الرسول عليه الصلاة والسلام التى عاشت بعد رفعه إلى الرفيق الأعلى .

ضرب الرسول الكريم المثل الأعلى فى الصبر لحكم الله ، والرضى بقضائه . فقد مات كل أولاده الذكور حتى إبراهيم ، وهذه من آيات الله وحكمته . إذ ربما إذا بقى أحد من أولاده الذكور بعده . يكون مثار القول فى خلافته لأبيه ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

جرى من أمر الله حدث فى حياة خديجة رضوان الله عليها كان له شأن فيما بعد . ذلك أن عرض عليها من الرقيق شراء عبد اسمه زيد بن حارثة . فاشتريته وتبناه الرسول ، وكان العرب يسمون من يتبنونهم أدياءهم ، فأصبح هذا العبد الرقيق دعيًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله قصة سنورها على حقيقتها لأن أعداء الرسول حرفوا حقيقتها ، وصوروها بما أُملى عليهم الحقد والجسد .

أما أزواج النبي أمهات المؤمنين حسب ترتيب زواجه منهن بعد وفاة خديجة عليها الرحمة والرضوان فهن : —

أولاً : السيدة «سودة بنت زمعة» أرملة السكران بن عمرو .

ثانياً : السيدة «عائشة» بنت أبى بكر الصديق

ثالثاً : السيدة «حفصة» بنت عمر بن الخطاب أرملة خنيس بن حذافة

رابعاً : السيدة «زينب بنت جحش» مطلقة زيد بن حارثة .

خامساً : السيدة «زينب بنت خزيمة» أرملة عبيدة بن الحارث بن

عبد المطلب .

سادساً : السيدة «هند بنت أبى أمية الشهيرة بأم سلمة» أرملة عبد الله بن

عبد الأسد .

سابعاً : السيدة «أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان» أرملة عبيد الله

بن جحش .

ثامناً : السيدة «ميمونة بنت الحرث الهلالية» خالة خالد بن الوليد .

تاسعاً : السيدة «جويرية بنت الحرث» أرملة مسافع بن صفوان المصطلق

عاشراً : السيدة «صفية بنت حى» أرملة كنانة ابن أبى الحقيق .

وكلهن أرامل ثيبات متكهلات ماعدا عائشة رضوان الله عليها ؛ وسنأتى
على تفصيل زواج كل واحدة منهن ومناسباته وملايساته
وحكمة الله التى أرادها

ماتت السيدة خديجة بعد حياة بلغ أمدھا خمساً وعشرين سنة . أى بين
الخامسة والعشرين وبين الخمسين من عمر النبي الأمين ، وهو سن الشباب
والفتوة ، وزمن الرجولة والقوة ، وقد قضاه وهو زهرة عمره معها ، وهى
ثيب تفوقه خمسة عشر عاماً فى العمر . فلم يهتم بالدنيا وزخرفها ، ولم ينصرف
إلى الشهوة ولذتها ، وقد انقضى فى فترتها عشر سنوات من عهد رسالته كلها
جهاد وكفاح ونضال ، وهذا وحده كان كافياً لاقناع المضللين ولكن «إنها
لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور» —
وهاهى الأمثلة البارزة لدحض مفترياتهم وحسبنا الله ونعم المعين

سيرة زواج السيدة
سودة بنت زمعة
رضوان الله عليها

أمتاز المهاجرون والأنصار بحسن بلائهم ، وقوة دفاعهم ، لنصرة دين الله ، وكان من أنصار الرسول عليه الصلاة والسلام «السكران بن عمرو» وقد هاجر إلى الحبشة مرتين تصاحبه فيها زوجته السيدة «سودة بنت زمعة» وقد أسلمت وأحسن إسلامها ، وكانت من فضليات النساء تحملت المشاق والمتاعب في سبيل الهجرة ، ولما عادا من الحبشة بعد هجرتهما الثانية توفي زوجها ، وتركها من غير عائل ولا معين ، وقومها رجال أشداء غلاظ القلوب فهم أكثر مقتا لرسول الله ، وأشد عداوة له ، وقد جاوزت الخامسة والخمسين من عمرها . فلما سمع بأمرها رسول الله خشي عليها إن عادت إلى قومها وهم كفار وتمسكت بإسلامها فانهم يفتكون بها أو يردونها عن دينها أو يفتنونها فيه . أو تدوم معا كسبهم وتعذيبهم لها ، وليس من خلقه عليه الصلاة والسلام عدم النجدة ، وقلة المروءة . لاسيما وأنها في سن ربما لا يقبل عليها من يتزوجها ، فرأى من مكارم أخلاقه أن لا يتركها هدفًا لسهام قومها ، وعرضة للعوز والحاجة ، وأن أحسن ما يقابل به حسن بلائها واعترافا لزوجها ، وجهاده في سبيل الله ؛ وأعظم ما يكافئها به أن ينقذها من مأزقها ، ويتزوجها ولو أنها تفوقه في العمر ، وتقل عنه جمالا في الخلقة ، لأنه لم ينصرف إلى الشهوة بل كان يعمل لنجاح رسالته ، وتم له ما وقفه الله له . فقد قابل قومها هذا

النبيل ، وسمو الخلق ، وقدروا هذا الصنيع الجليل ، وأكبروا أنه عليه الصلاة والسلام يؤثر الفضل لغيره خدمة لدين الله ، ومكافأة للمجاهدين في سبيله فعظموا هذه الشرائع ، وذلك الشعور . فأسلموا وأحسنوا إسلامهم ، إكباراً لعظيم همته ، وإعجاباً بروءته وصاحبوه في كل غزواته ، وناصروه وعاشت معه ، ولم يعقب منها إلى أن توفيت إلى رحمة الله بعد أن عاشته مالا يقل عن عامين كاملين .

(ومن ذلك يكون الرسول قد تزوجها ، وهي ثيب ، تفوقه في العمر ، وهو في زهرة الصبا وعنفوان الشباب ، وهو مبعوث للناس كافة ، فماذا كان يمنعه عن زواج عذراء ناهدة إن كان ينصرف إلى الشهوة واللذة ، فضلاً عن حياته الطويلة التي قضاها مع السيدة خديجة ، وقد كانت من قبل ثيباً ؟ اللهم لولا علو همته ، وعظيم مروءته ! لأنه لا يعمل إلا بأمر ربه ، وليس له من الأمر شيء ، ولم يحفل بالدنيا ومتاعها ، وما عند الله خير وأبقى .

هذا حاله عليه الصلاة والسلام مع زوجته السيدة سودة بعد حياة طويلة

مع السيدة خديجة من قبل

سيرة زواج السيدة عائشة — رضوان الله عليها

لا يجهل إنسان قدر أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، ومكانته من رسول الله
ومنزلته التى منحها الله له . إذ فاز بشرف صحبة الرسول ، وأنزل الله سيرتها
فى القرآن : —

« ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا »

هذا فوق جهاده فى سبيل الله بأمواله ، وجوده بما يملك لاعلاء الحق ،
وإعلان الدين ، وما عرف عنه من إخلاص ، ووفاء لرسول الله ، فانه كان
عزيز قومه ، وعظيمهم ، وغنيهم ، وأعلاهم قدراً ، وكان إسلامه من أول
دلائل النصر المبين . فنال بذلك قلب الرسول ، فعضمه وكرمه وقربه منه ،
وأوثق رباط تلك المكانة العظيمة والمنزلة السامية برباط المصاهرة ، فتزوج
من ابنته عائشة رضوان الله عليها ، ومن عرف تاريخ « هذه الحمراء » التى قيل
عنها « خذوا نصف دينكم عن هذه الحمراء » وعلم بمكانتها وتمكنها من الفقه
فى الاسلام ، والادب والحكمة تحقق حكمة الله السامية فى زواجها من
رسول الله ، لأنها كانت بحر علم زاخر ، وخزانة حكمة وتشريع ، وقوة كامنة
للاحتفاظ بسنة الرسول ، ونشر أحكام الدين

وكان هذا الزواج مدعاة لتنافس العشائر والقبائل لينالوا هذا الشرف ،

فأذكى الغيرة في قلوبهم . وتسابقوا إلى الاسلام ، ولما أن عمرت نفوسهم بنور اليقين انقلبت غيرتهم حماساً دفع بهم إلى التنافس للفوز بنشر دين الله ، وهنالك أدركوا حكمة العزيز الحكيم بإيجاد هذه الرابطة بين الرسول ، وكبار رجاله من المؤمنين ، وتكريم الصديق رضى الله عنه بهذا الشرف العظيم .

هذه حكمة الله في زواج الرسول من عائشة فهو لتقوية حلقة الاتصال بين النبي وأنصاره ، ولما كانت عليه من عقل وذكاء لتعنى التشريع . فتنقله إلى المؤمنين والمؤمنات وهى التى تزوجها بكرةً عذراء فى جميع زوجاته .

سيرة زواج

السيدة حفصة

رضوان الله عليها

قارب الرسول صلى الله عليه وسلم الخامسة والخمسين من سنى حياته ، ولم يكن تشريع تعدد الزوجات ، ولم يكن له من نسائه إلا عائشة رضوان الله عليها ، ولما نزل حكم الله بتشريع التعدد ، وكان الفاروق عمر بن الخطاب قد أسلم ، وأعز الله الاسلام بإيمانه ، وكانت ابنته «حفصة» رضوان الله عليها متزوجة من خنيس بن حذافة ، وهو من أشد أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن كبار الفوارس المقاتلين الذين ضربت الأمثال ببسالتهم . إذ سجل له التاريخ أنه كان فى موقعة بدر . كلما أصيب بجرح ضمه ، وعاد إلى القتال

حتى مزقت النبال جسده ، وخارت قواه ، فاستشهد في سبيل الله ، وترملت زوجته حفصة ، وهى بدورها فى ميدان القتال . تسعف الجرحى ، وتضمدهم جراحهم ، وتروى بالماء غليلهم . وتؤاسى بطيب الكلم عليهم ، ولزوجها من قلبها إخلاص الزوجة الصالحة . فحزنت لموته ، وأصابها الضعف والمرض فوالى رسول الله مواساتها . لمرضها وموت زوجها ، وتزوجها تسكريما لها ، وإكراما لزوجها ، وتعويضا عما أصابها ، ومكافأة لأبيها ، وتوثيقاً للرابطة معه ، وللفاروق مكانته السامية بين قومه ، ولم تكن مع ضعفها ذات جمال ولا عذراء ناهدة . بل تزوجها ليعلم الناس رغبته فى إحكام أوامر الجامعة الإسلامية وتوثيقها باتصال زعماء المسلمين ، وتوحيداً للكلمة ، وتنظيماً لصفوف المجاهدين ، كل هذه أدلة على زهده فى الدنيا ، وإعراضه عن متاعها ، ودأبه المتواصل فى خدمة الدين ، وهكذا أصبحت مكانة الصديق ، والفاروق من الرسول منزلة الوزيرين المؤمنين المخلصين .

هذا مثل صالح لحسن السياسة والدربة والكياسة بدا من الرسول النبى الامى صلوات الله عليه وسلامه

سيرة زواج السيدة
زينب بنت جحش
رضوان الله عليها

أشرنا إلى ما حدث في عهد خديجة أم المؤمنين من شراء عبد رقيق اسمه «زيد بن حارثة» وما كان من تبني الرسول له ، وقلنا إن لهذا الجادث شأنًا ، ولذا نقول : -

كانت العادة عند العرب : إذا تبني الرجل قتي أو فتاة سمي دعيه أو دعيته وجمع ذلك أديعاء ، وكان زيد بن حارثة دعي النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن عاداتهم أيضا أن لا يجعل للدعي المتبني إلا حق المولى أو الأخ في العشيرة ، وهم يرغبون عن اتصال الأديعاء بالعشيرة أو بنسبها ، أو إعطائهم حقوق الأبناء في النسب أو الميراث ، وفي ذلك ما يشعر الأديعاء بمساس في شعورهم وإيلاهم لنفوسهم ، فقد جاء الإسلام فوحد بين منازل أهله ، ولم يفرق بين عربي وأعجمي ، أو حر وعبد ، ولا يرضى أن يشعر العبد بعبوديته والرقيق برقه ، وقد ساوى بين الجميع ، والله سبحانه وتعالى يقول «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» لهذا أراد جلت قدرته أن يهدم تلك العادات ، ويوحد في تشريعه بالمساواة بين الجميع ليبين أن الكبرياء والخيلاء من دلائل الشر والخضوع ، والتواضع من علائم الخير ، وإنما المؤمنون إخوة تجمع بينهم رابطة الايمان ، ودعامة الاسلام .

وكان للرسول عليه الصلاة والسلام ابنة عمته زينب بنت جحش عذراء

جميلة . فأوحى الله إليه أن يعتق دعيه زيداً ثم يزوجه من ابنة عمته زينب . فقام الرسول بأمر ربه ، وأخبر زينب وأخاها عبد الله بن جحش بما أمر الله به ، فرغبوا عن هذا الزواج ، وشمخت زينب في كبرياء وازورار ، وهى الهاشمية القرشية ، وابنة عمه رسول الله . كيف بها تتزوج من عبد رقيق مشترى بالمال ! وإن أعتقه الرسول ، وعظم عليها وأخياها الأمر ، وأيا أن يصاهرا زيداً .

فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الآية : —

«وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا . أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا» .

فلما سمع عبد الله بن جحش وأخته زينب بالآية ، وعرفا أنهما المعنيان بها ، أخذتهما الرهبة والخوف من غضب الله وخضعا لأمره ، ورضخا لما أشار به رسول الله وقبلا زواج زينب من زيد ، وقد تم ذلك .

أى إن زينباً التى كانت عذراء بكرأ جميلة أمام أعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينظر إليها ، ولم يفكر فى زواجها وزوجها إلى دعيه «زيد ابن حارثة» بناء على أمر ربه ، وقد رفضت فى أول الأمر . ثم رضخت بعد نزول الآية إطاعة لأمر الله .

إلا أن زينباً شمخت على زيد وتعاضمت عليه ، وتشددت فى معاملته . إلى حد كثر شكاويه منها إلى رسول الله ، وهو صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الصبر والاناة ، ويهدى من ثأرتة حتى نزلت الآية الكريمة :

«وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ، وَاتَّقِ

اللَّهُ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ، وَتَخْشَى النَّاسَ ، وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ . فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا . زَوْجَانَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ . إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا .

فلما تزايد تعاضمها عليه ونزلت الآية — وتفسيرها — وإذ تقول يا محمد زيد الذي أنعم الله عليه بالاسلام . وأنعمت عليه بعثتك له وتبنيك إياه ، لا تطلق زوجك واحرص عليها واتق الله . ثم إنك يا محمد تحتفظ بأمر ربك الذي يبيده ، وتسائر الحال إلى أن يحن وقت التنفيذ ، ولا تغلنه للناس منعاً من تقولاتهم وتخرصاتهم ، والله لا يخاف شيئاً فهو يعلنه ، وأولى بك وأنت رسول الله أن لا تخاف ولا تخشى سواه . فلما تزوج زيد وعاشر زينباً ، وطلقها أمرناك أن تتزوجها . للحكمة التي يريدتها الله ، وهي إبطال عادات العرب التي تمنع زواج المؤمنين من أزواج أدعيائهم بعد طلاقهن منهم . وكان أمر الله مفعولاً لا مرد له .

وكان هذا التشريع بعد نزول الآية الشريفة : —

«وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ . ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» .

وبعد أن نزلت الآية الكريمة :

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ، وَبَنَاتُكُمْ ، وَأَخَوَاتُكُمْ ، وَعَمَّاتُكُمْ ، وَخَالَاتُكُمْ ، وَبَنَاتُ الْأَخِ ، وَبَنَاتُ الْأَخْتِ ، وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ ، وَأَخَوَاتُكُمْ مِنْ

الرَّضَاعَةَ ، وَأُمَّهَاتِ نِسَائِكُمْ ، وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ . اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ، وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ، وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ . إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا .

فالأدعياء ليسوا كالأبناء الذين من الأصلاب ، وقد حرم الله زواج الآباء من زوجات أبنائهم الذين من أصلابهم كما حرم زواج الأبناء من أزواج آبائهم «ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم»

فكانت حكمة الله السامية من زواج الرسول من زينب ، وهى ثيب تزوجها مولاه الذى أعتقه . ثم طلقها . هى المساواة فى الاسلام بين السيد والمسود ، والقول المأثور «الجنة لمن أطاعنى ولو كان عبداً حبشياً ، والنار لمن عصانى ولو كان أميراً قرشياً» . ثم القضاء على أعمال الجاهلية .

هذه هى قصة زينب بنت جحش : وقد أطلق أعداء الرسول لأنفسهم عنان الطعن والتجريح ، وأكثروا من أباطيلهم وأضاليلهم واتهموه بالشهوة والميل للنساء واللذة ، والحقيقة ظاهرة أعمتهم الأهواء والأغراض عن بحبها وإدراكها ، ولو أنهم فعلوا لتحقيقوا أن الرسول العربى الهاشمى القرشى ، وهو من أرسخ القبائل مجداً ، وأعظمهم حسباً . وأعلام نسباً ، وهونبى الله إلى الناس كافة ، ما كان يرضى أن يزوج ابنة عمته بمالها من قرابة به صلى الله عليه وسلم ، وصلة به وبحسبه من عبد رقيق اشتراه بماله . ثم أعتقه لولا خضوعه لأمر ربه ومولاه ، وكيف يرضى أن يتزوجها من بعده ، وهو خادمه

ومولاه ، وكانت العرب يتزاحمن لينلن هذا الشرف العظيم .
ومن ناحية أخرى :

لولا إرادة الله لوضع هذا التشريع الخاص بالأدعياء ، ومنع إساءة معاملتهم . لما تبنى الرسول صلى الله عليه وسلم زيدا ، وكان أولى به أن يتبنى من أبناء العشائر والقبائل من يتفق مع حسبه ونسبه عليه الصلاة والسلام . وأيضاً ماذا كان يمنعه من زواجها ، وقد كانت عذراء ناهدة ، وقبل أن يعاشرها عبده ومولاه ، وليست العذراء البكر كالثيب . هذا فوق أن الدليل الواضح على أنه صلى الله عليه وسلم كان منفذا لأمر ربه ، هو أن زيدا قاسى من معاملة زينب له ما كان يحار به للرسول من الشكوى منها ، فإذا كان يميل إليها أو يهواها كما يفترى المضللون ، وكان الأحرى به أن يقول لزيد: طلقها وتخلص منها . لا يقول له « أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ » أو كان يتخذ شكواه له منها تكأة لنيل غرضه والوصول إلى غايته ، ولكنه على الضد كان يسترضيه ويطيب خاطره ، ويطلب منه التؤدة والتمهل ويقول له « وَاتَّقِ اللَّهَ » غير ذلك : كان تعدد الزوجات شائعا بين العرب قبل رسالته عليه الصلاة والسلام كما كررنا ، وتزوج السيدة خديجة في سن الشباب والفتوة ، وهى تفوقه فى العمر ، ولم تكن ابنة عمته بعيدة عنه فما الذى منعه من زواجها قبل مشترى زيد وقبل تبنيه وقبل عتقه ؟؟؟ . اللهم إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

إن هؤلاء الخراصين الذين يتقولون على الرسول ليس فى مكابرتهم

الإلا ما يرد كيدهم في نحورهم ، وهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، وليعلموا أن الله الذي يخاطبه عليه الصلاة والسلام بقوله : —

«وَنُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» .

وهذا ما يرفع قدره . حيث أنه صلى الله عليه وسلم وهو نبي الله فإنه إنسان بشر ، له نفس حساسة تشعر وتدرئ . وله من قومه خصوم يتربصون به الوقعة . فكيف به يتزوج من امرأة كانت تحت خادم له ، وماذا يبعده عن تعييرهم له وتشهيرهم به ، وماذا يتقولونه عليه بعد هدمه ، ومخالفته لعاداتهم ، ولكنه عليه الصلاة والسلام خضوعاً لأمر ربه لا يقف عند حد هذا التفكير ، والله قد أمره ، وهو جل وعلا أحق أن يخشاه ، وفي ذلك كله غاية التقدير من ربه له ، وفيه الإشارة إلى إطاعته وتنفيذ أوامره ، حتى يتم ما يريد الله من التشريع وقد شهد الله له في كتابه العزيز : —

«مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَيْهِ شَدِيدُ الْقُوَى» .

هذه هي قصة زينب على حقيقتها من غير تحوير أو تبديل ، فاعتبروا يا أولى الألباب .

وهي ظاهرة أن الله أمر رسوله بشراء زيد ثم ألهمه عليه الصلاة والسلام أن يتبناه بعد عتقه ثم أمره أن يزوجه من زينب وقد أعلمه أنها ستطلق منه ليتزوجها النبي الأمين حتى يساوى بين المسلمين ساداتهم ومواليهم ويؤلف بين قلوبهم .

سيرة زواج السيدة
زينب بنت خزيمة
رضوان الله عليها

حفظ التاريخ للمجاهدين في سبيل الله عظمة استبسالهم في موقعة بدر ،
وسجل لهم مالا قوه من الأهوال لنشر الاسلام ورفع رايته . وقد شهد لهم
الأعداء قبل الأصدقاء بالشجاعة والفروسية ، وكان من بين أبطال هذه
الموقعة الأفاضل . المبرزين: البطل المقدم عبدة بن الحارث بن عبد المطلب
فقد أبلى بلاء حسناء ، وصمد للأعداء حتى استشهد في سبيل الله ، وكانت زوجته
زينب بنت خزيمة من فضليات المؤمنات لم تترك ميدان القتال لحظة ، وهي
تقوم بواجب الانسانية . من تضييد الجراح وإسعاف المرضى ، ومواساة
المجاهدين . فلم يلهها موت زوجها واستشهاده عن الاستمرار في عملها إلى أن
كتب الله النصر للمؤمنين ، وكانت على مقربة من الستين من عمرها وليس
لها من يعولها بعد فقد زوجها . ولما علم بأمرها رسول الله صلى الله عليه
وسلم آواها إليه ، وتزوج منها جبراً لحاظرها ، ومكافأة لزوجها ، وتقديراً
لعملها المجيد ، ولم تعمر غير عامين بعد حتى توفاه الله وأسكنها فسيح جناته .

سيرة زواج السيدة

هذه بنت أبي أمية

الشهيرة بأم سلمة ، رضوان الله عليها

كذلك سجل التاريخ للمجاهدين مفاخرهم في موقعة أحد، وضربت الأمثال بثباتهم ، وقوة جلدتهم ، ومغامرتهم ويضعهم الأرواح في سبيل مرضاة الله بغير ثمن ، ولو تمسّدق المتمدّينون بصفات نسائهم ، ونسبوا إليهن العجائب . وكن عندهم رسل الرحمة ، فأولى بالمسلمين أن يفاخروا بنساء العرب في عهد الرسول والعهود الزاهرة للإسلام فقد كانت من شهيرات النساء اللاتي قن بواجب الإنسانية في موقعة أحد السيدة «هذه بنت أبي أمية الشهيرة بأم سلمة» إذ كانت من العاملات وراء صفوف المجاهدين . تحرّضهم على القتال ، وتبعث فيهم روح الحماسة والاستبسال ، وتسعف الجرحى والمصابين ، وتبهي الطعام والزاد للمقاتلين ، كما أنها رافقت زوجها عبد الله بن عبد الأسد في هجرته إلى الحبشة قبل موقعة أحد ولاقت معه هناك شدائد وأهوالا ، وفي موقعة أحد أبلى عبد الله بلاء حسنا حتى أصيب بجراح دامية ، ولما أن عوفي منها عقّله الرسول صلى الله عليه وسلم لواء قتال بني أسد فقاتل جهاد المستميتين ، حتى عاودته جراحه واشتد ألمه ولزم فراشه . فعاده الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يحتضر ، ومكث بجواره حتى أغمض عينيه بيده الشريفة ودعا له بالجنة ثم عزى أم سلمة وواساها وربت على أكتاف أولادها العديدين .

والمشهور عنها : أنها كانت قد سمعت عن رسول الله يقول «مَنْ مِسْلَمٍ

تُصِيبُهُ مَصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعُ فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اجْرِنِي فِي مَصِيبَتِي ، وَاخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهَا
إِلَّا اخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا

وداومت على هذا الدعاء حتى استشهد زوجها ، وكادت بعد استشهاد زوجها
تدعوه به صباح مساء تسائل نفسها : من هو الذى سيكون خيراً من أبى سلبية .
وهو رجل نال صحبة الرسول . وهاجر إلى الحبشة ، وشهد المشاهد كلها وأغمض
الرسول صلى الله عليه وسلم عينيه بيده الشريفة ، ودعاه بالجنة ؟؟؟ واستمرت
على دعائها ، وما انقضت أربعة أشهر على وفاة زوجها والرسول مشفق على
أولادها وقلة من يعولهم . فدعاها إليه ، وطيب خاطرها ، وتزوج منها ، ليعول
أولادها ، ويكفلهم . جزاء لحسن عملها ، ووفاء لاختصاصها ، ومتين إيمانها .
أليس هذا دليلاً على النبيل . وسمو القصد ، والبعد عن الدنيا ، والزهد فى
متاعها ؟ هذا هو المثل الأعلى للشهامة ، والهمة والنجدة ، والمروءة ، وما كان
أغناه عليه الصلاة والسلام . عن تحمل المسؤولية ليعول أولاداً غير أبنائه .
ويقوم بتربيتهم ، وقد تجاوزت أمهم الستين من عمرها ؟ . وعنده الكواعب
الأتراب ، والناهدات الأ Bakar . إن كان يرغب فى الشهوة واللذة !!

إن حكمة الله الذى يوحى إليه صلى الله عليه وسلم بأمره . كانت بارزة
فيما ظهر عن هاته المتكهلات من أزواج الرسول أمهات المؤمنين رضوان
الله عليهن ، وقد كن رسل الدعاية ، وأعلام الهداية ، ونشر أحكام الدين بين
نساء المؤمنين . فيما يختص بالزوجات ، والأمهات ؛ والمرضعات ، والمطلقات
وفى جميع تطورات الحياة للفتاة والمرأة . مثل الطهارة ، والوضوء والغسل

والمحيض ، والنفاس . والولادة . والرضاعة ، وغير ذلك من كثير الأمور التي لم يكن الرجال يستطيعون نشرها ، وتعليمها للنساء ، وكبيرات السن أوسع صدراً ، وأكثر أناة للشرح والتفصيل ، وهذه هي إرادة الله العزيز الحكيم ، وكفى بموقف السيدة عائشة رضوان الله عليها دليلاً على ما وعته عن رسول الله في كثير من التشريع ، وما كان لها فضل إثباته عنه عليه الصلاة والسلام ، وكذلك شأن السيدة أم سلمة مع نساء عشيرتها وقبيلتها وغيرهن

سيرة زواج السيدة

أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان

رضوان الله عليها

في سيرة السيدة أم حبيبة مثل يجعل الجاحد الحقود المتعنت يخر الله ساجداً . أمام هذا التشريع الإلهي الذي ملأ قلوب المؤمنين والمؤمنات يقيناً بفضل الله ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ؛ وإنهم كانوا يبيعون أنفسهم رخيصة بغير ثمن في سبيل مرضاة الله ، وتعزيز رسوله الأمين ، ويقف الرسول على جهودهم وجهادهم وتضحياتهم ، فيحمد لهم عملهم ؛ ويعوضهم خيراً بفضله ، وهمته ومروءته ونجدته ، وذلك أن السيدة أم حبيبة تزوجت من عبيد الله بن جحش ، وكان قد أسلم وهاجرت معه إلى الحبشة ، وفيها ارتد عن دينه واعتنق النصرانية ومات عليها وكانت قد هجرت زوجها ورجبت عنه ونبدته ، وهي غريبة عن بلادها . وقد تبرأت منه وما لانت إلى توسلاته ؛

فخرمت هنالك من المعين والنصير . وتمسكت باسلامها ، وقاست شدائد ، ولاقت متاعب وصعائب حتى عادت إلى المدينة ، وفيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها أبوها أبوسفیان ، وهو من ألد أعداء الرسول ، فرغبت عن لقاء أبيها ، وأقبلت على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يفوتنا أن نذكر أنه حين علم صلى الله عليه وسلم بما جرى من زوجها وتمسكها بإيمانها بعث إلى ملك الحبشة يعلنه بخطوبتها لنفسه الشريفة حتى لا يمسها بسوء ، وحتى تحفظ كرامتها . ثم ليعرف أنها وهي خطيبة الرسول تكون أولى بالرعاية والعناية بها .

فلما قابلت النبي بعد عودتها آواها إليه وهي ابنة عمه «أبي سفيان» وأكبر فيها قوة اليقين وشدة الايمان وتمسكها بالاسلام ولذلك كله ، وتقديرا لموقفها الشريف ، ومكافأة لها عرض عليها زواجه منها فقبلت وكانت قاربت الستين من عمرها .

ويحفظ لها التاريخ : أنها بعد أن نالت شرف زواجها من الرسول ، وفازت بحفظ إيمانها ، وكال يقينها وتشرفت بفضل الهجرة . وأتم الله أنعمه عليها . قدم إليها أبوها في أحد الأيام ، وأقبل عليها ليدعوها إلى الكفر ، ويغريها إلى الردة . فدخل بيتها ، ولما رغب في الجلوس على فراشها ، طوته ومنعت يده من لمسه ، أو الاقتراب منه ، فاشتد غضبه وقال لها : أراغبة بهذا الفراش با بنية عني ؟ أم بي عنه ؟ فأجابته على الفور : به عنك . لأنه فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل نجس غير مؤمن . فغضب عليها وقال : لقد أصابك بعدى شر . فقالت له : لا والله بل خير

علم الناس ذلك عنها . فارتفعت بين المؤمنين مكانتها ، وعظم في المؤمنات قدرها . ولا غرو فهي من أمهات المؤمنين . وكلهن المثل الأعلى في الإيمان وحسن اليقين . ليس بعجيب أو مستغرب هذا فان نور اليقين حال بين قلب الابنة المؤمنة والأب المشرك ، وعمر قلبها . بالشجاعة . والجرأة ، فلم تخش سطوة أبيها ، ولم تخف غضبه . فألقت عليه درساً ، دك قواه ، وهددته ، وهدم شدته ، فكانت مهيبة الجانب ، أرهبت به بقوة اليقين وردته بالفشل والخسران المبين ، وما كان من زواج رسول الله منها إلا تقديرأ لفضلها ونجاتها من شر أبيها ، لارغبة في اللذة والمتعة .

سيرة زواج السيدة

ميمونة بنت الحرث الهلالية

رضوان الله عليها

كانت واقعة تبوك ، وبطلها سيف الله القاطع خالد بن الوليد ، المجاهد في سبيل الله ، ورافع لواء النصر وعنوان الفروسية والشجاعة ، وسداد الرأي وحسن التدبير ، وكانت خالته السيدة ميمونة بنت الحرث الهلالية ، بين صفوف المجاهدين تقوم بواجبها الانساني ، وقد ترملت من زوجها ، والمعروف عنها أنها أول من ألفت فرقة نسائية لاسعاف الجرحى والمرضى والقيام بواجبات المجاهدين ، وأنها وهى تحمل الماء لاسعاف الجرحى أصابها سهم كاد يقتلها ، ولما وضعت الحرب أوزارها ، وأصبحت لاعائل لها ولا معين ، وابن أختها بعيد عنها فى جهاده الدائم المستمر ، سمع بأمرها رسول الله فأواها إليه وتزوج منها ، وقد زادت عن الستين من عمرها ، إكراما لها ، وجبراً لخاطرهما ، وترغيباً لقومها . الذين أكبروا هذا الفضل والمرءة فأسلموا ودخلوا فى دين الله أفواجا وأحسنوا إسلامهم وداموا على مؤازرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

سيرة زواج السيدة جويرية بنت الحرث رضوان الله عليها

ضرب الرسول المثل الأعلا في المروءة والفضل مع السيدة جويرية بنت الحرث وهي سيدة قومها وابنة سيدهم وهم بنو المصطلق . فقد كانت موقعة بنى المصطلق يتولى قيادة القوم « مسافع بن صفوان المصطلق » وقد أشرب قلبه بعداوة الرسول إذ كان من ألد أعداء الاسلام ، وأشد هم إيذاء للمسلمين وأقساهم عليهم قلباً ، وقد هد الله كيانه ، وهدم بنيانه في يوم « المريسيع » حيث مات كافراً . وقد وقعت في الأسر زوجته السيدة جويرية بنت الحرث وهي كما سبق سيدة قومها . فعلم بأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر باعزازها ، وتكريمها وحسن معاملتها ، ثم أعتقها ، فعظم الأمر عندها ، وقدرت هذا الفضل العظيم ، وتقدمت إلى الرسول . وأعلنت إسلامها وجميع قومها ، فحذا المجاهدون حذو النبي وأعتقوا أسرارهم فقدرت هذا الصنيع الجميل ، وتزوجت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وصاروا من أشد أنصاره ومؤازريه ، فدخل قومها وأنصارها في دين الله أفواجا ، وتم ما أرادته عليه الصلاة والسلام . من انضمامهم إليه ، وكانت السيدة جويرية تقارب الستين من عمرها .

يعجز الكاتب عن تكيف هذه التصرفات ، إلا إذا عمر قلبه بالايمان وقاتل شيطان الغرض ، وأضاء الله بصيرته ، فانه إذا قدر تصرفات الرسول

الأمين . تحقق أنه صلى الله عليه وسلم كان هدفا للتضحية ، ومثالا للزهد في الدنيا ، والبعد عن اللذات ، لايهمه إلا نشر دعوته ، ورفع لواء الاسلام ، وكان القدوة الحسنة لأمته فان عمل المجاهدين بتقليدهم له في عتق أسراهم ، وقع في نفوس الأعداء موقع التقدير ، وقد رفعت الغشاوة عن أعينهم فأمنوا بالله ورسوله . وانقلب عداؤهم له ولاء ، وخصامهم معهم وفاقا . ووفاء ، وبغضهم له محبة ، وله مودة . ثم كانت أعمالهم خدمة الدين الذين باعوا أنفسهم رخيصة في سبيل إعلا شأنه ونشر تعاليمه .

سيرة زواج السيدة صفية بنت حيي رضوان الله عليها

من أول عهد الرسالة ، واليهود لا يفترون عن نصب شباك الشر ، وأحاييل الضرر للرسول ، وقد كذبت عداوتهم في نفوسهم ، يبدون منها الكثير في بعض المواقع التي لم يكن الضرر مؤازرا ليهود فيها ، إلى أن كانت هزيمة خيبر ، وقد برز فيها بنو النضير ، وثار تارة اليهود : واشتد حماسهم وكان على رأسهم سيد قبيلتهم حيي بن أخطب ، وله ابنته صفية بنت حيي تفوز بزعامة قومها ، وإكبارهم وإعزازهم لها : ولها مكانة عالية عندهم ، وكلمة مسموعة فيهم . وهي متزوجة من — اسلام ابن مشكم القرظي — ولما اشتد

القتال ، وحى وطيس النزال . كان «حي» يتقدم المقاتلين من قومه ، ويحضهم على الاقدام ويحرضهم على القتال ، وكان يذى في نفوسهم جنوة الانتقام من المسلمين فأهلكه الله ومات ومعه كثيرون من بنى قريظة ، ودامت موقعة خبير ، غير أن «إسلام ابن مشكم» زوج السيدة صفية كان قد هجرها ، بعد موت أبيها ، فتزوجها من بعده — كنانة ابن أبي الحقيق — فقتل كنانة أيضا وتم النصر للمسلمين ، فأسروا الكثير من المقاتلين ونساءهم ، ومن بين الأسارى السيدة «صفية بنت حي» ، وكانت شديدة الانتصار لقومها تحرضهم على مقاتلة المسلمين ، ولم تتوان في تجهيز موتاهم حتى لا يعيث بها المجاهدون فلما علم الرسول عليه الصلاة والسلام بأسرها . أعتقها في الحال . فقابلت مكارمه بإسلامها ، وتقدمت تمد يدها إليه تطلب زواجها منه ، وقد تبعها قومها فأسلموا جميعهم فأجاب طلبها وتزوجها ، وهى مكتهلة تزوجت باثنين من قبله ، ولكنه أكبر عملها فكافأها بقبوله زواجها ، وكف اليهود أيديهم عن إيذاء المسلمين بسبب ذلك ، وامتنعت علانية دسائسهم ، وأحبطت حبايل مكرهم . إذ كانوا لا ينفكون عن تحريض القبائل ، ودس الخرافات والخزعات . وما يظنون به إفساد عقائد المسلمين ، وهذه آثارها باقية إلى الآن فى البدع والدخائل .

وهذه هى آخر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ،
أما مارية القبطية : فقد أهداها إليه المقوقس ورزق منها بولده إبراهيم ،
وقد توفى قبل رفعه عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى .
ثم نزلت الآية الكريمة ؛

«لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ، وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ، وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ، إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا»

فلم يتزوج بعد من ذكرن، وقام بأمر ربه، وكلهن كما توضح كبيرات السن، وهو عليه الصلاة والسلام أولى بالاستمتاع بعد جهاد وجلاد وقتال دام من يوم رسالته إلى يوم وفاته، ولكن قلبا غمره الله وشغله عن الدنيا وزخرفها. وزهده فيها ومتاعها، ورغبة في الانقطاع لنشر دعوته وإعلاء شأن دينه، حرى أن يلقي الله آمناً مطمئناً بعيداً عن الشهوة العارضة، واللذة الزائلة

لقد جعلت رسالتي في سرد قصص أزواج النبي عليه الصلاة والسلام، لأرغبة في دحض مفتريات الدسائسين فحسب، ولا دفاعاً عن هذا الرسول الأمين، لأن أعماله وأفعاله. هي التي تنطق بفضله ونبله، ولكنى أرجو أن ترفع الغشاوة عن أعين أعدائه الجاحدين، وخصومه الماكرين المضللين «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»

ولو وعى أعداء الرسول ما كانت عليه قبائل العرب من تبرج النساء، وخروجهن سافرات. لا يتورعن عن إبداء زينتهن وإظهار جمالهن لغير أزواجهن. أدركوا أنه لم يكن عسيراً على الرسول اختيار من تصبو إليها

نفسه وكان تعدد النساء مباحا . ولكنه بعيد عن الشهوات ، وما كان زواجه
إلا لحكم أَرادها الله وأعلن بها في كتابه العزيز حين خاطبه في شأن أزواجه :

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُن تَرْضْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ، فَتَعَالَيْنَّ

عُمَّرُكُنَّ وَأَسْرَحُكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ، وَإِن كُنْتُن تَرْضْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . وَالْآخِرَةَ ،

فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ، يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ

مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُصَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ . وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا

وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَعْمَلْ صَالِحًا ، نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ، وَأَعْتَدْنَا

لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ، يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِن اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ

بِالْقَوْلِ . فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ، وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا »

« وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ، وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ، وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ ،

وَاتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا »

« وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ . إِنَّ اللَّهَ كَانَ

لَطِيفًا خَبِيرًا » .

فهل تحقق أعداء الرسول بعد هذا كله أن الله جلت مشيئته أراد أن يزوجهم
بأمهات المؤمنين المتهمكات ليدركن بين الأهل والأقارب ، والقبائل
والعشائر ما يتلى في بيوتهم من آيات الله وأوامره وتشريعته وحكمه لنشر
تعاليم دين الله . وإيجاد الحرية في المباحثة والمناقشة ؟ ؟

اللهم انه الحق وقد أظهرته ، والصدق وقد أعلنته ، والواقع وقد أوضحته
لعل المتبجحين يقفون عند حدهم . ويتوبون إلى ربهم ، ويرجعون عن ضلالهم
« وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَاجْعَلْ لِّيْ
مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوْقًا »

اللهم إن القوم قد ضلوا وأضلوا فاهدهم إلى صراطك المستقيم ، اللهم
إنى أسألك الهداية والتوفيق ، وامنحني عفوك ورضاك ، واغفر لى ما بدرمنى
من هفوة أو تقصير ، أو خطأ أو زلل فان نيتى لك خالصة . وإنما الاعمال
بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نواه . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

اللهم اهد قومى فانهم بك يؤمنون ، ولا مراك طائعون ، ولنبيك مخلصون
اللهم إن أغضيت عن زللى ، وغفرت لى خطئى ، وقبلت عملى . فقد جمعتنى
معهم على الحق ، وألفت بين قلوبنا على الصدق وأنت أصدق القائلين —
« قل إنما انا بشر مثلكم يوحى إلى انما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا »

والحمد لله رب العالمين ؟
أَسْعِدْ لَطِيفِي مَيِّن

تفسير الآيات القرآنية

ومعاني الكلمات

أريد أن أمكن القارئ من تفهم ما أوردته من الآيات القرآنية الكريمة حتى أصل الى ما أرجوه من خير . ولذلك سأضع تفسيرها بما يوصل إلى ذلك . والله الهادى إلى سواء السبيل .

تفسير الآية صحيفة ٢٣ من الآية الأولى في سورة النساء :

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً . وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ، وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا تَبْدِلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ، وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ، وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَقْسُطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثًى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ لَا تَعُولُوا»

يخاطب الله عباده وقد أوجدكم في الحياة الدنيا من نسل فرد واحد آدم عليه السلام . خلق منه زوجه ومنها تناسل جميع الخلائق من الرجال الكثيرين والنساء الكثيرات . وأمام هذه القدرة الخارقة يأمرهم أن يتقوا عقابه ويخشوا غضبه ، فانه الاله الذى يسأل بعضكم بعضاً باسمه الكريم وقده العظيم . ويأمرهم بتقوى الأرحام وصلتهم والعطف عليهم وهى الصلات الممكنة فى القرابة والنسب . ثم يقول لهم تذكرة لشدة تقواه وخشية عقابه انه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور فهو رقيب عليهم . كما أمرهم بالمحافظة على أموال

اليتامى وردها اليهم . وعدم النظر اليها والطمع فيها بأخذ النافع منها لأنفسهم .
ورد ما لا ينفع اليهم كما أنه لا يجوز ضم أموال اليتامى الى أموال الأوصياء
أو القوام لأن في ذلك الاثم العظيم . وإذا خشيتم أن لا تستطيعوا أن تقوموا
بالقسط في تصرفاتكم مع اليتامى . فتزوجوا من النساء اثنتين . أو ثلاثا . أو
أربعاً بالاشتراطات التي أمر بها وشدد في اتباعها فإذا وجدتم من أنفسكم
العجز والضعف وعدم استطاعة تنفيذ ما قيد الله به هذه الاباحة فلا تتزوجوا
إلا واحدة

الغريب من الكلمات : بث فيهما ، أى : نشر . حوبا : إثما أو ظلما

تفسير الآية الثانية صحيفة ٢٣ أيضاً الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات
« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكروا أنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

يخاطب الله عباده : أنه بقدرته الربانية وعظمته الالهية خلقهم من ذكر
وأنثى ، وجعل من تناسلها أمم العالم ودوله وشعوبها وقبائلها . وذلك ليعر
الكون بتعارف الناس وتعاونهم في هذه الحياة . ثم أرشدهم إلى أن التفاضل
بينهم مع اتحاد أصلهم لا يكون إلا بتقوى الله ، والتفاوت فيها وأنه سبحانه
عليم بقلوب عباده خبير بأعمالهم فيجازيهم على حسب ما يعلم .

تفسير الآية صحيفة ٢٦ من الآية الرابعة من سورة النور

«والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون . إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم . والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ويدراً عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين . والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم »

الذين يتهمون النساء المتزوجات ولم يستطيعوا إقامة الدليل القاطع على صحة أقوالهم وهو إقرار أربعة شهود من الرجال فعقابهم الذي حددده الله ، أن يجلدوا ثمانين جلدة . وبما أنه قد تبين كذبهم وافترائهم فلا تقبل منهم شهادات أبداً لأنهم كاذبون . وقد أفسح الله جلته قدرته واسع رحمته لمن يدرك حرج موقفه ، ويقدر شناعة عمله ، فيرجع إلى رب طائعاً محتاراً . ويتوب عما كان منه توبة نصوحاً باصلاح ما كان منه فينال عفو ربه الكريم ، وعظيم غفرانه وكبير رحمته . والذين يتهمون أزواجهم بالخيانة ولم يستطيعوا البرهان والتدليل إلا بأنفسهم شخصياً . فعليه أن يكرر شهادته أربع مرات تأكيداً وتثبيتاً لصحة ادعائه وهو أن يقسم بالله أنه لصادق في قوله . ثم يقسم أن عليه لعنة الله ان كان مفترياً غير صادق . وقبل البت في أمرها وتقدير عقوبتها لما اتهمت به من الخيانة أن تقسم بالله أربع مرات انها بريئة مما اتهمت وأن زوجها من الكاذبين . ثم تؤكد إقرارها بأنها تستحق غضب الله ان كان

زوجها من الصادقين وهذا التشريع العظيم من فضل الله ورحمته حتى لا تسود الفحشاء ، وحتى يعيش الناس في واسع كرم مولا هم يتحلون بالفضائل ولهم من فضله أن يقبلهم إذا رجعوا إلى حظيرة قدسيته الصمدانية تائبين قاتنين لوجهه الكريم

الغريب من الكلمات : المحصنات : الحرائر المتزوجات .

تفسير الآية الثانية صحيفة ٢٦ الآية الأولى من سورة النور .
« الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ، الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين »

العقاب الذي قرره الله وهو أحكم الحاكمين . لمن ضاع عقله . وضل صوابه . وارتكب جريمة الزنا الشنعاء هو جلد الزاني والزانية كل واحد منهما مائة جلدة بالشدة القصوى . والنقمة المتناهية . انتقاماً منهما لما عملاه مخالفاً لدين الله الذي أمر بالتقوى ، والمحافظة على الأعراض والفضيلة . ولا يصح لمن يقوموا بتوقيع العقوبة أن يخفف العقاب أو يشفق عليهما ما داموا يعلمون فظاعة الجريمة . وما داموا يؤمنون بالله واليوم الآخر . ويشترط أن تكون العقوبة علنية يشهدها الناس من المؤمنين . ليكون في ذلك عبرة وعظة وتذكرة وقد عاقبهما أديباً بعد العقاب الماسى فحرم على الزاني زواج المؤمنات

لأنه خالف أمر ربه وأصبح في عداد المشركين فلا يتزوج إلا من مشركة
وحرم على الزانية الزواج بالمؤمنين فلا يتزوجها مؤمن بل تتزوج من
مشرك . وزواجهما حرام من المؤمنين
الألفاظ : المشرك من أشرك مع الله إلهاً آخر

تفسير الآية صحيفة ٥٧ — :
ورد تفسيرها في تفسير صحيفة ٢٣ — فليرجع إليه

تفسير الآية الثانية صحيفة ٥٧ — : الآية المائة وثلاثون في سورة النساء
«وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى . فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى
وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم»
يقول الله جل وعلا — : «وإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة — وهو
كما قلنا علم في أزيته فقال — :
«ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم . فلا تميلوا كل الميل
فتدروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً»

أى انه لا يمكن أن تقوموا بما أمر الله — بالقسط في المعاملة بين
الأزواج . وعدم المفاضلة بينهم ، وإكرام واحدة عن الأخرى . مهما بلغ
الحذر والحيلة ومهما حرص الزوج على تنفيذ هذا العهد الوثيق بين أزواجه
وعليه أن يتمسك بحدود الله فلا ينهر من اتى لم تفز بعدله فينصرف عنها

ويتركها لاهى كالآيم الغير متزوجة ولا كالمزوجة وهذا هو معنى المعلقة .
والأولى أن تصلحوا ذات بينكما وتتقوا الله وتقوموا بما أمركم به وتقتصروا
على زواج واحد فقط لأنه يقبل التوبة عن عباده ويغفر لهم أخطاءهم ما لم
يتعدوا حدوده وهو رحيم بهم —

الألفاظ : تقسطوا : تنصفوا وتعدلوا يبنهن بالقسط

الألفاظ - تميلوا كل الميل : تنحرفوا عن جادة الصواب والحق كالمعلقة -
أى بين هذا وذاك

تفسير الآية صحيفة ٥٨ - :

«ومن يعص الله ورسوله . ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله
عذاب مهين»

الآية صريحة جدا : ذلك أن الله أوضح الطريق للناس : وبين الخير من
الشر . والنافع من الضار . وحدد الأجر للعاملين . وبين العقوبة للآثمين . فمن
عصاه وعمل بما نهاه وفسره الرسول الأمين فعقابه أن يدخله نار جهنم
خالدا مخلدا فيها وفي ذلك أشد العذاب وأقساه والاهانة الدائمة وقانا الله
شر ذلك .

الألفاظ : حدوده . ما أمره به وحدده حتى لا يخرج عنه

تفسير الآية صحيفة ٥٩ - الآية السابعة من سورة النساء

«للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون»

ليس في دين غير دين الاسلام تشريع التوريث وما فيه من حكمة ورحمة . مع الدقة التي يعجز عنها كبار الخاسبين . وقد وزع بالقسط بين الأزواج والأمهات والأولاد والوالدين والأقربين مما يخر الناس للاذقان سجدا اعترافا بقدرة الله العزيز الحكيم ولهذا قرر الحكم العدل أن ينال كل وارث نصيبه . كما جاء في الآية الشريفة حتى لا ينظر محروم الى واحد من ذوى قرباه بعين الحقد والحسد : وحتى يتضامن أفراد العائلة من الأهلين والأقربين في السراء والضراء . والله أحكم الحاكمين

تفسير الآية صحيفة ٦٠ الآية الخامسة والعشرون من سورة النساء

«ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض ، فأنكحوهن باذن أهلهن ، وآتوهن أجورهن بالمعروف ، محصنات غير مسافحات ، ولا متخذات أخدان . فإذا أحصن فإن أتبن بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب . ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم ، والله غفور رحيم»

من لم يكن منكم في سعة من الرزق وغنى يستطيع بهما زواج المؤمنات

الحرائر ، فعليه أن يتزوج من الفتيات الاماء المملوكات والله سبحانه وتعالى علام السرائر ، وما تخفيه الضمائر ، لأن الدين يجمع بين الحر والعبد لافرق بينهما في المنزلة عند الله إلا بالتقوى . فتزوجوا الفتيات المؤمنات الأسارى ، وهن مسلمات باذن أهلهن وعن تراض واتفاق . وادفعوا لهن مهورهن كما تدفعون الى الحرائر . ولا تملطوهن أولاً تنقصوهن شيئاً من حقوقهن وهن يتمسكن بالعفة ويبتعدن عن الزنا والخنا . ولا يتخذن أخلاء يؤاتوهن سرّاً . فاذا تم الزواج وحفظن فروجهن . وتحصن بالزواج . ثم ارتكبن الفاحشة وأتين الزنا فيعاقبن نصف عقاب الحرائر أى يجلدن خمسين جلدة . ويعاملن بما جاء خاصا بعقاب المحصنات فى اعتبارهن شركات لا يتزوجن إلا مشركين إلى آخر ما جاء من تلك الأحكام .

وهذا التشريع كله لمن خاف الزنا ووقعه فى الآثام ولم يملك سعة تمكنه من زواج الحرائر : والله سبحانه وتعالى يقول : إذا استطاع الانسان أن يحكم نفسه ويصبر قليلا عن زواج غير الحرائر : فهو خير له . والله سبحانه وتعالى غفور رحيم

الألفاظ — طولا : سعة ، أو قدرة . المحصنات : الحرائر ، مسافات ، يأتين السفاح ، أخدان : جمع خدن ، وهو الخليل الذى يصاحب المرأة على غير رباط شرعى : العنت : الزنا ومعصية الله

تفسير الآية الثانية فى صحيفة ٦٠ - :

أرجو الرجوع اليه فى ذكر الآية المذكورة بصحيفة ٢٦

تفسير الآية في صحيفة ٦٢ - :

أرجو الرجوع اليه في ذكر الآية المذكورة بصحيفة ٢٦

تفسير الآية في صحيفة ٦٤ - :

ورد تفسيرها في صحيفة ٥٧ من الكتاب فليرجع اليه

تفسير الآية في صحيفة ٦٥ - : الآية الرابعة والثلاثون من سورة النساء

«الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله . واللاتي تخافون نشوزهن ، فعظوهن ، واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيراً»

الرجال لهم الولاية على النساء يراقبونهن ويراجعون أعمالهن . فان أحسن فيكرمونهن وان أسأن فيراجعونهن ، ويصلحون أعمالهن ، وإن تمادين فلهم عليهن سلطان القوامة فيؤدبونهن بالمعروف وذلك بما خصص الرجال به من الجهود الشاقة . والأعمال المضنية . والمتاعب القاسية في سبيل إعالتهم لهن وقيامهم بواجباتهن ، فلهم الأفضلية في ذلك عليهن حيث لم تكلف النساء بشيء من ذلك . فالنساء الصالحات العابدات القانتات يؤمن بحقوق أزواجهن . ويطعنهم ، ويحفظن فروجهن ويحافظن على عرضهن وكرامة أزواجهن وفي غيبتهم حسب أوامر الله : أما اللاتي يظهرن عصيانهن لأزواجهن ومشاكستن

لهم ويتمردن عليهم ، فان الله يأمر بأخذهن بالملائنة والمهاودة والموعظة فان
أمر ذلك كفى ، وان دام تمردهن على أزواجهن . فللزواج أن يهجر زوجته
ولا ينام معها في فراش واحد ويعتزلها مع العفة والعصمة : وعدم الكيد أو
الاحراج . فان أطاعت فانتهى ، وان دام عنادها فليخوفها بالضرب البسيط
الغير مبرح ، فاذا عاد إليها صوابها فلا يصح للرجل أن يغلط معها القول . أو
يؤنبها ، أو يعيرها بل يلاطفها حتى تعود المياه بينهما الى حالتها الأولى والله
سبحانه وتعالى مطلع في عليائه ، وعليم بما عليه خلقه فليحذروه إذا خرجوا
عن حدوده ، ولا يظلم الرجال النساء ويستضعفونهن

الألفاظ - قوامون ، مشرفون على أعمالهن ، ولهم حق إصلاحهن
النشوز : الخروج عن الطاعة ، والتمرد

تفسير الآية صحيفة ٦٦ - الآية الخامسة والثلاثون من سورة النساء
وإن خفتم شقاق بينهما : فابعثوا حكما من أهله ، وحكما من أهلها ، إن يريد
إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا

إذا دب الخلاف بين الزوجين وأدى الى وجود شقاق بينهما فليرجع
الى التحكيم وتكون هيئته من واحد ذكر من أهل الزوج ، وواحد آخر من
أهل الزوجة ، أى من أقارب الاثنين ، فيستعرضان ملابسات الخلاف القائم
بين الزوجين ويتباحثان باحسنى كل محكم مع موكله يبديان ما عندهما حتى
يعمل الجميع الى الوفاق والوئام ، بازالة أسباب الخلاف ، ويحل الصفاء محل

الجفا . ويقف كل من الزوجين عند حده ، وفى ذلك يتفق الحكماء على التوفيق بأمر الله (والصلح خير) لأن الله عليم بالسرائر خبير بما فيه الخير والصلاح الألفاظ : الحكم هو من يختار للفصل بين المتخاصمين ويرضيان بحكمه

تفسير الآية الثانية صحيفة ٦٦ - : الآية المائتان وستا وعشرون من

سورة البقرة

«للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر . فان فاءوا فان الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فان الله سميع عليم ، والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ، إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبعلوتهن أحق بردهن فى ذلك ، إن أرادوا إصلاحا ، ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ، والله عزيز حكيم»
للذين يحلفون على أزواجهم بأن لا يجامعوهن فعليهم أن ينتظروا الأربعة أشهر بعد حلفهم . فاذا رجعوا عن يمينهم فى خلال الأربعة أشهر أو بعدها عادوا الى وطء أزواجهم فلا حرج عليهم والله غفور رحيم . وإذا انتهت الأربعة أشهر ورغبوا فى الطلاق وأصروا عليه فالتهم يعلم سرهم ونجواهم ، ومتى وقع الطلاق فالواجب على المطلقات أن لا يتزوجن وينتظرن بغير أقدام على الزواج مدة ثلاث حيضات ، أى يراعين موعد الحيض فى أول مرة بعد الطلاق حتى ينتهى . والحيض الثانى حتى ينتهى ، والحيض الثالث حتى ينتهى فاذا ثبت أن المطلقة حاضت ثلاث حيضات متتابعات كان هذا دليلا على عدم

حملها والله سبحانه وتعالى يأمرها أن لا تكتم الحقيقة : ومن ثم يباح لها الزواج ، وهذا ما يسمى بالعدة . وهى للآتى تمت معاشرتهن مع أزواجهن أما الآتى لم يدخل بهن فلا عدة لهن . ولبعولتهن حق ردهن ، إذا تراضيا وتصالحا وأصلح ذات بينهما ، ولهن فى حالة الصلح كل ما كان من الحقوق قبل الطلاق . كما أن للرجال حقوقهم المشروعة من الاحترام والطاعة . وحسن المعاشرة ، والتضامن فى السراء والضراء ، لأنهم بفضل جهودهم وما يقومون به من المشقات لا طعام أزواجهم والانفاق عليهن يفضلنهن ، والعزة لله فيما قضى به ودبره ، وفى حكمته القدسية

الألفاظ - يؤلون - : الاسم الايلاء : ومعناه الحلف على عدم الجماع ، تربص - انتظار - فاءوا تريثوا وعدلوا عن رأيهم - قرء : وهو الحيض أو الطهر

تفسير الآية الثالثة صحيفة ٦٦ و ٦٧ - : الآية المائتان تسع وعشرون من سورة البقرة

«الطلاق مرتان . فامسك بمعروف ، أو تسريح باحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً . إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما ، فيما اقتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون»

تنفيذاً لحكمة الله السامية تكون إباحة التطليق ، أى الانفصال بين الزوجين مرتين . وذلك ليمكن المراجعة والصلح بينهما . ولذا يجب الوقوف

عند ذلك على أن يتراجعا بالحسنى والمعروف وبغير إضرار أو انتقام. أو إعادتهن
لأهلهن بغير إساءة أو إهانة لا يجب مطلقاً أن يؤخذ من الزوجة
أى شيء من متاع ، أو مال ، أو حلى مما قدمه إليها زوجها إلا إذا تبين لها
أن كليهما يشاكسان بعضهما ويخرجان عن حدود الشرع . ويكون الواجب
الاحتياط والحذر من الوقوع فيما ذكر ، ولا حرج على الزوج إذا أخذ
ما تقدمه الزوجة له من المال لتفتدى نفسها ويتم الطلاق ، ولا حرج عليها
فى ذلك أيضاً — هذه أوامر الله فلا تخرجوا عنها ، ومن يخرج عنها ويتعدها
فهو من الظالمين الذين يستحقون عذاب الله

فاذا انتهت مدة الطلاق فى المراتين . وكانا تراجعا ثم عادا الى الانفصال
فطلقها الرجل ، مرة ثالثة . فقد حرمت عليه حتى تتزوج من زوج آخر ،
لا بقصد التحايل للتراجع ، بأن يعاشرها الزوج ليطلقها لتعود لزوجها الأول
كلا وألف مرة كلا . فان الله يريد أنه إذا تزوجت المطلقة ثلاثا من زوج
جديد ، وحسنت معاشرتهما فلا مبرر لافصالهما ، أما إذا لم تدم العشرة
ودب الخلاف بينهما وانفصلا بالطلاق ، فقد وجدت فرصة لتراجع الزوج الأول
وتعود اليه . على أن يقيما حدود الله . ويتبع ما أمر به وهذا هو بيان من الله
للناس حتى لا يحرفون الكلم عن مواضعه ويعملون بأوامره
الألفاظ - إمساك : تمسك - تسريح : إطلاق الحرية

تفسير الآية صحيفة ٦٩ - : ٢٣١ و ٢٣٢ من سورة البقرة

«وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ، فأمسكوهن بمعروف ، أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم ، وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة ، يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم»

وإذا طلقتم النساء وبلغن آخر عدتهن ، وانقضت مدة العدة . فعودا اليهن وراجعوهن من غير أذى أو ضرر ، أو اتركوهن حتى تنقضي مدة العدة ولا تحجزوهن وتمسكوا بهن للاضرار بهن لتنتقموا منهن ، لأن من لم يخش الله ويفعل ذلك فقد باء بالخسران ، وغضب الله عليه ، وظلم نفسه ، واستوجب لها العقاب . والله سبحانه وتعالى يذكرنا بفضلہ علينا ونعمته العظمى بأن هداانا للإسلام ، وأنزل على نبيه الامين القرآن ، وأوضح فيه أوامره ونواهيه وحكمته السامية فيما قرره وشرعه . رغبة في إرشادنا الى الحق وخير الانسان فله الحمد جلّت قدرته ، ولا يجب أن ننسى أنه يعلم دقائق الأمور وأصعبها لا يخفى عليه خافية

الألفاظ - ضراراً - للضرر بهن

ثم قال جل وعلا . فاذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ، ووفين العدة ، فلا تمنعهن عن النكاح والرجوع الى الحياة الزوجية . إذا اتفقا وتصالحا بالحسن وحل الوثام محل الخصام . وهذا ما يريده الله ليفهمه الذى يخشون غضبه ويخافون عقابه ويؤمنون بالله واليوم الآخر . وعدم التعرض للبطلقات

ومنعهن من التراجع خيراً وأفضل ، وهو ما يبعد الظنون والريبة أو الشك إذا ،
وجدت أية علاقة بينهما . والله يعلم وأنتم لا تعلمون
الألفاظ - تعضلوهن : تمنعنهن

تفسير الآية الأخيرة بصحيفة ٦٩ سورة الطلاق - :

« يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ، واتقوا
الله ربكم ، لا تخرجوهن من بيوتهن ، ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة
وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدرى لعل الله
يحدث بعد ذلك أمراً »

« فإذا بلغن أجلهن ، فأمسكوهن بمعروف ، أو فارقوهن بمعروف .
وأشهدوا ذوى عدل منكم ، وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر ، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب
ومن يتوكل على الله فهو حسبه . إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل
شيء قدراً »

« واللاتى يئسن من المحيض من نسائكم ، إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر .
واللاتى لم يحضن ، وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله
يجعل له من أمره يسراً . ذلك أمر الله أنزله إليكم ، ومن يتق الله يكفر عنه
سيئاته ويعظم له أجراً »

« أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ، ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن »

وإن كن أولات حمل ، فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن . فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ، وائتمروا بينكم بمعروف ، وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى . لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه ، فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً»

يخاطب الله نبيه الكريم بقوله جل وعلا : إذا أردتم الطلاق فطلقوهن لوقت عدتهن وهو الطهر ، وأحصوا العدة وهي ثلاثة حيضات ، وأطيعوه واخشوا عذابه وعقابه . وحافظوا على أزواجكم فلا تخرجنوهن قبل أن تنقضي عدتهن إلا إذا ارتكبن الفحشاء وهي الزنا فانهن يخرجن لاقامة الحد عليهن كما شرع الله من العقوبات للزانية والزاني . وهذه هي أوامر الله ونواهيه فلا تخرجوا عنها ، ومن خرج عنها استحق العقاب المهيئ . ثم يخاطب جل وعلا رسوله ، بأنه يجري ما أordاه الله بعد ذلك من وفاق ووثام فيما إذا كان الطلاق لم يزد عن مرتين وفيه إباحة التراجع . فإذا قاربت مدة العدة فحافظوا عليهن ، وراجعوهن بوافق ورضى . من غير أن تؤذونهن . أو إذا لم تراجعوهن ففارقوهن بالحسنى ، وفي الحالتين يسجل ما صمتم عليه بشهادة اثنين ممن تنطبق عليهم شروط الشهادة سواء في ذلك التراجع أو الطلاق ، وذلك ما يجب أن يحققه كل من كان يؤمن بالله واليوم الآخر . وقد جعل الله للمتقين الذين يطيعونه ويقومون بأوامره ونواهيه أن يتولاهم بفضله ، وأن يفرج عنهم من كربات الدنيا ، ويرزقهم بما لم يخطر لهم على بال وما لم يجهدوا أنفسهم للحصول عليه ومن يفوض أمره لله لا بالتكاسل والتواكل على الناس . بل بالجد والاجتهاد والعمل الصالح فالله لا يضيع أجره ، ويكفيه بمعونته وانجاح سعيه ، لأنه جل

وعلا قادر على كل شيء وهو المانع للرخاء والشدة ، والتيسير والتعسير .
يصرف كل شيء بما قدره وأراده ، وفي الوقت الذى حدده

والنساء اللاتى لم يأتهن المحيض بعد الطلاق ، إن شككنكم فى صدقهن
فعدتهن ثلاثة أشهر ، واللاتى لم يحضن لصغر سنهن ، فعدتهن ثلاثة أشهر .
وهذا التشريع فى الحالتين خاص بمن لم يمت أزواجهن ، وبمن لسن حواهلا
أما من توفى أزواجهن فهن يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ، كما سيأتى
فى تفسير الآية الخاصة بذلك - أما المطلقات الحوامل فعدتهن لا تنقضى إلا
بوضع حملهن . ومن يتق الله ويخشاه ويراقبه ، يسهل له أموره ، ويسرها
فى الدنيا والآخرة . وهذا هو حكم الله وأمره جلّت قدرته فى شأن العدة بينه
والناس ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويضاعف له حسناته

أسكنوا المطلقات بعض مساكنكم من غير أن تضايقوهن ، فيضطرن
الى الخروج للتخلص مما يعانين ، أو يطالبنكم بنفقة أو يفتدين حريتهن . وإن
كن حوامل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فإن أرضعن أولادكم منهن ،
فأعطوهن أجر الرضاع ، واجتهدوا فى التوفيق بينكما بالمعروف . وإذا لم يكن
فى وسعكم دفع أجر الرضاع فعلى الأب أن يتدبر فى أمر الرضاع ولده ، لأن الأم
ليست مكرهة على الارضاع : وبذلك تقوم امرأة أخرى بارضاع المولود
تحت إشراف والده ، ومن رحمة الله وكرمه وعظم فضله أنه كذلك لم يكره
الأب على الانفاق على المطلقات أنفسهن ، أو إرضاع أولادهن إلا فى حدود
الطاقة والاستطاعة ، أما فى حالة العسر والضيّق ، فالينفق على قدر وسعه مما
أعطاه الله ، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسراً

الألفاظ - مخرجا . اعنى توفيقاً للخروج من المأزق - يحتسب : يحسب له حساباً ولم يخطر على باله ، حسبه : يتولاه ويكفيه مؤنة التدبير - من وجدكم أى سعتكم ، تعاسرتم : لم ييسر لكم

تفسير الآية الثانية بصحيفة ٧١ وهى الآية ٢٢٣ من سورة البقرة :-
 «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ، ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك» .
 «فإن أراد فصلا عن تراض منهما وتشاور ، فلا جناح عليهما» .
 وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم ، فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ، واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير» .
 والوالدات يرضعن أولادهن عامين كاملين لازيادة عليهما لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له أى الأب إطعام الوالدات وكسوتهن إذا كن مطلقات بقدر طاقته وبما فى سعته ولا يكلف فوق قدرته . ولا يجب أن تكره الأم على إرضاع ولدها ، أو تؤذى إذا امتنعت عنه ، ولا يجب أن يكره الأب على ما ليس فى مقدوره لارضاع ابنه . وإذا مات الأب وطفله رضيع فعلى من يقوم بالولاية عليه أن يقوم بما كان مفروضاً على الأب للأم بخصوص الارضاع وفى الحدود التى شرعها الله

فإن أراد الوالدان فطام المولود قبل انقضاء العامين بعد اتفاق بينهما

وبحث في مصلحته فلا حرج عليهما في ذلك

ثم يقول الله جل وعلا مخاطباً الآباء إذا أردتم إرضاع أولادكم بمراضع غير أمهاتهم فلا حرج عليكم في ذلك ، بشرط أن تدفعوا للبرضعات أجورهن بالحسنى ، وعن طيب خاطر ، واثقوا الله إن الله بما تعملون بصير . يعلم السر والنجوى

تفسير الآية صحيفة ٧٢ وهى الآية الـ ٢٣٤ من سورة البقرة

والذين يتوفون منكم ، ويذرون أزواجا ، يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ، فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف ، والله بما تعملون خبير .

«ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ، أو أكنتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا ، إلا أن تقولوا قولا معروفا» .

«ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ، واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ، واعلموا أن الله غفور حلیم» .

«لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ، أو تفرضا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره . متاعا بالمعروف . حقا على المحسنين» .

«وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن . وقد فرضتم لهن فريضة ، فنصف

ما فرضتم ، إلا أن يعفون ، أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح . وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير .

والرجال الذين يموتون ويتركون أزواجا غير مطلقات منهم فعليهن أن لا يقدمن على الزواج من غير من مات ، وينتظرن أربعة أشهر قريئة وعشر ليالى بعد آخر الشهر الرابع . هذا فى غير الحوامل ، أما الحوامل : فالمفروض عليهن الانتظار حتى يضعن حملهن ، وبعد انقضاء العدة فى الحالتين فيباح لهن التجمل والاستعداد للزواج فى حدود العفة والشرف « والله عليم خبير » بكل شئ . ولا جناح عليكم إذا أشرتم أثناء عقد الزواج للفتوى عنهن أزواجهن الى محاسن الزوجة ، أو جمالها أو قصدتم زواجكم بهن إن كان مستطاعا ، لأن الله عليم بالسرائر ، ولكن لا يجوز مطلقا أن تكون تلك الرغبة سرية على غير علم من أهلن ولا بد أن تحاط بعدم الخروج عما شرعه الله جل وعلا ولا يجوز عقد الزواج إلا بعد استيفاء ما حدده الشرع من تمام انقضاء العدة ، وما جاء مفصلا فى كتب الشريعة : ويتشدد الخالق جل وعلا فى الدقة لاتباع أمره ، لأنه وهو العليم بما فى الصدور ، والخبير بما تقوم عليه النوايا ، لا يتأخر عن صرامة العقاب لمن خالفه وعصاه : كما أنه غفور رحيم ولا حرج عليكم إن طلقتم النساء ما لم تجمعهن أو تعطوهن مهرا ولا مسئوليكم فى الطلاق ، فطلقوهن ومتعهن ، وأعطوهن ما فى وسعكم على المستطيع الموسر ما يتفق مع حاله ، وعلى الفقير المعسر ما لا يرهقه

وإذا طلقتم النساء قبل أن تعاشرهن وتجمعهن ، وقد دفعتم مهرا ، وتم عقد الزواج فعليكم أن تتجاوزوا لهن عن نصف المهر ، وتأخذوا النصف

الآخر ، فاذا زهدت الزوجة فيما نالته من نصف الصداق ، أو رغب الزوج عن كله وتركه لها ، فهذا مباح لهما ، ويشير جل وعلا الى أن كل اتفاق بالخير بينهما أحسن وأزكى . ولا يجب أن ينسوا أن الصلح خير ، وأن تفضيل بعضهم لبعض أقرب الى مرضاة الله ، لأنه مملع على كل شيء .

تفسير صحيفة ٧٢ وهى الآية ٢٣٨ من سورة البقرة

حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ، فان خفتم فرجالا أو ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون »
أحرصوا على أداء الصلوات الخمس المفروضة فى أوقاتها ، والصلاة الوسطى ، وهى : الظهر والعصر لأنهما فى وقت المشغولية بالأعمال الدنيوية وإياكم أن تتهاونوا ، وقوموا بأداء ذلك لله خاشعين طائعين ، فان خشيتهم وقت أداء الصلاة أن يهاجمكم عدو أو وحش ، أو سيل من الماء ، فأدوا الصلاة راجلين أى مشاة ، أو راكبين على ظهور الخيل أو ما سواها ، فاذا اطمأنتم من الخوف فأدوا الصلاة بأركانها كما علمكم الله

تفسير الآية صحيفة ٧٣ وهى الآية ٢٤٠ من سورة البقرة

والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا ، وصية لأزواجهم ، متاعا الى الحول غير إخراج ، فان خرجن فلا جناح عليكم فى ما فعلن فى أنفسهن من

معروف ، والله عزيز حكيم ، ولله طلاقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين .
كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون .

والأزواج الذين يموتون عن زوجات لهم عليهم (أى واجب على الأزواج أنفسهم أن يوصوا من يتولى شؤونهم بعد موتهم) أو يكون من حق أزواجهم الانفاق عليهم من طعام وكسوة ، وحاجياتهم لمدة عام كامل على أن يبقين في بيوتهن ولا يتزوجن ، فإذا انقضت العدة ، وتزوجن ، فلا حق لهن في شيء من الانفاق والله عزيز قادر حكيم في تصرفاته

وإذا توفي الأزواج عن زوجات مطلقات يقمن معهم فمن الخير الانفاق عليهن من غير إكراه ، أو إجبار . وهذا من صفات الذين يخشون الله ويخافون بطشه ويرجون رحمته ورضوانه ، وهو جل وعلا يشرع ذلك ويوضحه ويعلمه للناس حتى يدركون حكمته السامية ، ويكمل إيمانهم بعد اليقين بفضلله وكرمه — انتهى

هذا ما وفقنا الله اليه ، والله أعلم بما يريد ، لأن القصد في تفسير الآيات على النحو الذى ذكر هو تيسير الوصول الى ما يرضى الله جلّت قدرته وبما يسهل للعاملين التفقه فى أمور دينهم

واما التفاصيل فهى مستفيضة فى كتب الفقه والشرعة ، وفقنا الله جميعاً الى العمل الصالح ، فهو الموفق لما يرضيه ، وله وحده الأمر فى الدنيا والآخرة

ربنا تقبل مني إنك أنت السميع العليم . وتب على إنك أنت التواب الرحيم
واغفر لي ، وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم ، واحشري في زمرة النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

ربنا وأعد الى الاسلام مجده . وارفع علمه ، ومكن خادمه الأمين ، إمام
العاملين ، وقدوة المصلحين جلالة الملك « فاروق الأول » من الوصول بدينك
القويم ، الى عزه القديم ، اللهم أطل عمره ، وسدد خطواته ، وقو في خدمة
الاسلام عزماته . انك أنت السميع القريب المجيب « آمين »

أَسْعِدْ لَطْفِي مَيِّنَ

التاريخ

من حسن التفاؤل الذي ملأ قلوب المؤمنين بعهد الملك المحبوب أن جاء
تاريخ تمام هذا الكتاب فيما يأتي : —

في عهد مليكننا الصالح المحبوب « فاروق الأول » دام خادما الاسلام وحاميه

٧٠ ١٦٣ ٦٤٦ ٤٥ ٦٨ ٣٨٧ ٨٩ ١٦٠ ١٤١ ٧٩٩٠

أحيا الاسلام « محمد مصطفى المراغي » جدد مجده وأعزه

٨٩ ٥٢ ١١ ١٢٨٢ ٢٢٩ ٩٢ ١٦٣ ٢٠

سنة ١٩٣٨ ميلادية

392.5:H34zA:c.1

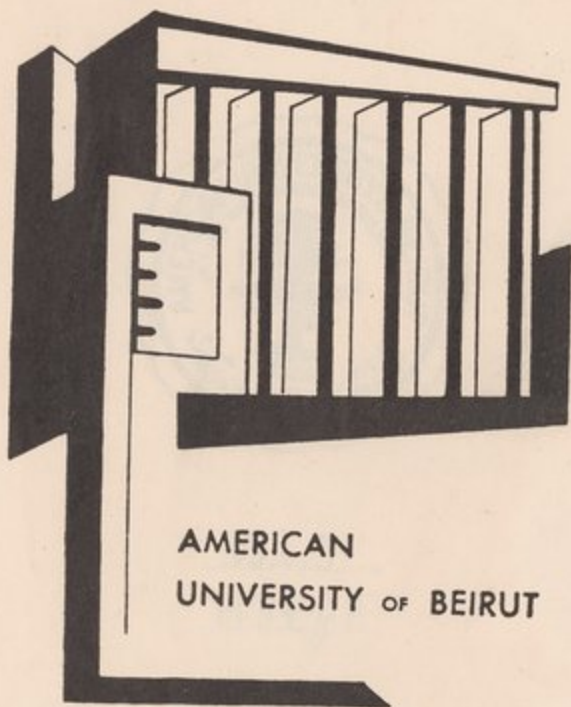
حسن ،اسعد لطفى

الزواج في الاسلام وأزواج النبي محمد

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01023802



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

392.5
H343A